الانتصار للصحابةِ الأخيار
في ردِّ أباطيل حسن المالكي

تأليف:
عبد المحسن بن حمد العباد البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومَن سلك سبيلَه واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْي هديُ محمد ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعد، فإنَّ من فضلِ الله تعالى وعظيمِ منَّتِه عليَّ أن حبَّبَ إليَّ الأخيار، وقرابتَه الأطهار، من غير إفراطٍ أو تفريطٍ، أو غُلوٍّ أوجفاءٍ، كما هي طريقةُ السَّلف الصالح، وقد ألَّفتُ رسالةً مختصرةً بعنوان: ((عقيدةُ أهل السنَّة والجماعة في صحابةَ رسول الله الصحابة الكرام رضي الله عنهم))، وقد نُشرتْ في مجلَّة الجامعة الإسلامية، في عدَدِها الثاني من السنة الرابعة، الصادر في شهر شوّال سنةَ 1391هـ، ثمَّ طُبعتْ مستقلَّة.

وألَّفتُ رسالةً بعنوان: ((فضلُ أهل البيت وعُلوُّ مكانتهم عند أهل السنَّة والجماعة)) طُبعتْ في عام 1422هـ، وسبق أن ألقيتُ محاضرةً في الموضوع في الجامعة الإسلامية في عام 1405هـ تقريباً بعنوان: ((مكانةُ أهل البيت عند الصحابة وتابعيهم بإحسان)).

وقد ألقيتُ محاضرةً في قاعة المحاضرات في الجامعة الإسلامية في عام 1405هـ تقريباً عن معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان عنوانها في أوَّل الأمر ((معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بين المنصفين والمتعسِّفين))، لكنِّي عند إلقائها اقتصرتُ على كلام أهل الإنصاف دون ذكر شيءٍ من كلام أهل الاعتساف، ثمَّ طُبعت بعنوان: ((من أقوال المنصفين في الصحابيِّ الخليفةِ معاويةَ

رضي الله عنه)).

وفي الآونة الأخيرة وقفتُ على رسالتين لأحد المتعسِّفين الجُدُد، وهو حسن بن فرحان المالكي (نسبة إلى بَنِي مالك في أقصى جنوب المملكة)، إحداهما بعنوان: ((الصحابةُ بين الصُّحبة اللُّغوية والصُّحبة الشَّرعية))، والثانية بعنوان: ((قراءةٌ في كتب العقائد))، اشتملتَا على تَخبُّطٍ وتَخليطٍ في مسائل الاعتقاد، ولا سيَما في الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وعلى النَّيل من عددٍ كبيرٍ من علماء أهل السنَّة المتقدِّمين والمتأخِّرين، وإشادة بأهل البدع.

وسأقتصرُ في هذه الرسالة على دحضِ أباطيله في حقِّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن هذه الأباطيل: تقسيمُه الصحبةَ إلى صحبةٍ شرعيَّة وصحبةٍ لغويَّةٍ، ويريدُ بالصُّحبة الشرعيَّة صحبة المهاجرين والأنصار من أوَّل الهجرة إلى صُلح الحُديبية، وأنَّ ما ورد من إنَّما هي لهؤلاء وحدهم، ومَن كان فضائل لأصحاب رسول الله بعد الحُديبية فصحبتُه لغويَّة كصحبة المنافقين والكفّار. فأخرج الذين أسلموا بذلك الألوفَ الكثيرةَ من أصحاب رسول الله بعد الحُديبية، وكذلك الذين أسلموا وهاجروا إلى رسول الله وغيرَهم، ومِن عامَ الفتح، والوفودَ الذين وَفَدوا على رسول الله وأنَّ الذين زعم أنَّهم لَم يظفروا بشرف الصُّحبة لرسول الله صُحبَتَهم إيَّاه كصُحبة الكفَّار والمنافقين: عمُّه العباس بن عبد المطّلب وابنُه عبد الله وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومعاوية رضي الله عنهم، وسيأتي تنصيصُه على عدم صحبتِهم والردُّ عليه.

ومن هذه الأباطيل تشكيكُه في أفضليَّة أبي بكر على غيره وغير ذلك مِمَّا سأذكرُه ، وفي أَوْلَوِيَّته بالخلافة بعد رسول الله في الرَّدِّ عليه.

والله يعلم أنَّني كارهٌ لإيراد هذه الأباطيل، لكن حالي كما جاء

في
المَثَل: ((مُكرَهٌ أخوك لا بطل))، كما في مجمع الأمثال للميداني (ص:274)، فأجـدُني مضـطرًّا إلـى إيـراد هـذه التَّعسُّـفات والـرَّدِّ عليها،
وأقول فيها كما قـال السـيوطي فـي كتـابه ((مفتـاح الجنـة فـي الاحتجاج
بالسنة)) (ص:5) في إبطال قول من قال: (إنَّه لا يُحتَـجُّ بالسُّـنَّة، إنَّما
يُحتجُّ بالقرآن وحده!) قال: ((اعلمـوا ــ يرحمكـم اللـه ــ أنَّ مـن العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تُذكر إلاَّ عند داعية الضـرورة)) إلـى أن قـال فـي (ص:6): ((وهـذه آراء مـا كنـتُ أستحلُّ حكايتَها لولا ما دعت إليـه الضـرورة مـن بيـان أصـل هـذا المذهب الفاسد، الذي كان الناس في راحة منه من أعصار)).

ولشناعة هذه الأباطيل، فإنَّ مجرَّدَ تصوُّرِها يُغني عن الاشتغال في الردِّ عليها، لكنِّي رأيتُ الردَّ عليها في هذه الرسالة؛ لئلاَّ يغتَـرَّ بها ذو جهل أو تغفيل، ورجاء أن يهدِيَ الله المردودَ عليه، ويُخرجه من الظلمات إلى النور، فيتوبَ من تلك الأباطيل قبـل أن يفجـأَه هادِمُ اللَّذَّات، والرجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ مـن التمـادي فـي الباطـل، كما قال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تفسـير القرطـبي 5/262).

وقد سَمَّيتُ هذه الرسالة:

الانتصار للصحابةِ الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي

وما أعزوُه إليه مِن كلامٍ باطل للردِّ عليه فهو فـي كتـابه الـذي في الصحابة، وما كان في الكتاب الآخر وهو: ((قراءةٌ فـي كتـب العقائد)) فإنِّي أنـصُّ عليـه، فـأقول: قـال فـي ((قراءتـه)) كـذا

وكذا، وقد رددتُ عليه من كتابه هذا في موضعين من هذا الردِّ (ص:65)، (ص:115 ...)، وسأُفرِدُ بحول الله الردَّ عليه فيه بكتاب بعنوان: ((الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في ردِّ أباطيل حسن المالكي)).

وأسأل الله عزَّ وجلَّ التوفيقَ لِما فيه رضاه والفقهَ في دينه والثباتَ على الحقِّ، إنَّه سميعٌ مجيب.

* * *

زعمه قَصْر الهجرة على المهاجرين قبل الحُديبية، وقَصْر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية، والرد عليه:

قال في (ص:25) في بيان مَن هم الصحابة: ((أصحابُ النَّبِيِّ :

ـ الصحبة الشرعية ـ ليسوا إلاَّ المهاجرين والأنصار، وقد يدخل وعاد فيهم مَن كان في حكمهم مِمَّن أسلم وهاجر إلى النَّبِيِّ إلى بلاده قبل فتح الحُديبية.

وهذه الصُّحبةُ الشرعيةُ ، فهذا أسلمُ تعريفٍ لأصحاب النَّبِيِّ هي التي كان فيها النُّصرةُ والتمكينُ في أيَّام الضَّعفِ والذِّلَّة، وهي الصُّحبةُ الممدوحةُ في القرآن الكريم والسنَّة النبويّة، بمعنى (الذين مع النَّبِيِّ) أنَّ كلَّ آيات القرآن الكريم التي أثنت على إنَّما كان الثناءُ مُنصَبًّا على المهاجرين والأنصار فقط، وليس هناك إلاَّ وهو منصرفٌ لهؤلاء لا لغيرهم مدحٌ عامٌّ لِمَن كان مع النَّبِيِّ !!)).

وقد علَّق عند قوله: ((قبل فتح الحُديبية)) بقوله في الحاشية: ((وقد يدخل في مسمَّى (الأصحاب) مَن أسلم بَعد الحُديبية إلى فتح مكة، مع الجزم بالفرق الكبير بينهم وبين قبل بيعة الرِّضوان؛ لحديث خالد بن الوليد وعبد أصحاب النَّبِيِّ الرحمن بن عوف، لكن لا يدخل فيهم طلقاءُ قريشٍ ولا عُتقاءُ

ثقيفٍ ولا مَن كان في حُكمهم من الأعراب والوفود بعد فتح مكـة !!!)).

وقال في نهاية الكتاب (ص:84 ـ 85): ((الصُّحبةُ الشرعية: لا فـي تكون إلاَّ في المهـاجرين والأنصـار الـذين كـانوا مـع النَّبِـيِّ المدينة من بداية الهجرة إلى زمـن الحُديبيـة، ويـدخل فـي هـؤلاء السابقون بالإسلام، الذين توفـوا فـي مكـة قبـل الهجـرة، أو فـي الحبشة، أو قدموا بعد الحُديبية من مهاجرة الحبشة فقط.

الصُّحبة العامة: التي مرجعُها العُرفُ أو اللُّغة، فهذه يدخل فيها مـن المسـلمين أو المنـافقين أو الكفَّـار، كلُّ مَن صـحب النَّبِـيَّ صحبةً يسيرةً لاحتمال اللُّغـة ذلـك والذي يُدخِل مَن صحب النَّبِيَّ لا يسـتطيع إخـراجَ صـحبة المنـافق لا لغـةً ولا عُرفـاً؛ لأنَّ اللغـةَ والعرفَ تحتملان ذلك أيضاً.

فـإن قـال المُخـرج للمنـافق أو الكـافر: إنَّمـا أخرجناهمـا مـن الصُّحبةِ بالشـرع، قلنـا لـه: ونحـنُ إنَّمـا حـدَّدنا الصُّـحبة الشـرعية بالمهاجرين والأنصار بالشرع أيضاً.

صـحبةَ فإن تَمسَّكتَ بمطلق اللغة فقـد أدخلـتَ علـى النَّبِـيِّ المنافقين، وإن قلتَ: أنَّ اللغة ليسـت حجَّـةً علـى الشـرع، قلنـا: كذلك في الصحبة الشرعية، والعرفُ حكمُه حكمُ اللغة، وإن كـان أقوى دلالةً من اللغة)).

أقول: إنَّ هذا الكلام يشتمل على أمور:

الأول: قصرُه المهاجرين هجرةً شـرعيةً علـى مَـن هـاجر قبـل الحُديبية، دون مَن هاجر بعدها.

الثاني: أنَّ المهاجرين قبل الحُديبيـة مـع الأنصـار هـم أصـحابُ الصُّحبةَ الشرعية دون غيرِهم رسول الله.

الثالث: الجزم بأنَّ كلَّ مَن صحب الرسـولَ ــ بعـد فتـح مكـة سواء كان من الطُّلَقاء والعُتقاء وأصحاب الوفود ـ لا يُعَدُّ صـحابياً، وصحبتُه المضافة إليه لغوية، كصحبة المنافقين والكفّار.

الرابع: أنَّ أولادَ المهاجرين والأنصار ليس لهم حكم المهاجرين والأنصار.

الخامس: اعتبر مَن صَحِبَ النَّبِيَّ بعد الحُديبية وقبل فتح مكة من أصحابه الصُّحبة اللُّغوية الـتي هـي شـبيهةٌ بصـحبة المنـافقين والكفار، كما جاء في كلامه الأخير الذي هو خلاصةُ رأيه.

والجوابُ عن الأمر الأوّل أن يُقال:

إنَّ الهجرةَ إلى الرسول في المدينة تَمتدُّ مِن بدْءِ الهجرة إلى فتحِ مكة، مع التفاوت الكبير بين مَن تقدَّمتْ هجرتُه ومَن تأخَّرتْ، كما أنَّ التفاوُتَ حاصلٌ بين مَن هاجر في بداية الهجرة وبيـن مَـن هاجر قُبَيل صُلح الحُديبية.

فإنَّ مَن شَهِد بدراً وأُحُداً والخندقَ وغيرَهـا أفضـلُ مِمَّـن هـاجر قُبَيل الحُديبية وشَهِد الحُديبية.

وما ذكره في (ص:85 ـ 86) من تقسيم الهجـرة إلـى (هجـرة شرعية) تنتهي بصلح الحُديبيـة و(شـرعيةِ هجـرةٍ) تَمتَـدُّ إلـى فتـح مكة، وقصْره فضلَ الهجرة الـتي ورد لأهلهـا المـدحُ والثنـاءُ علـى الهجرة قبل الحُديبية دون ما بعدها إلى فتـح مكـة تحكُّـمٌ لا دليـل عليه.

ويدلُّ لاستمرار الهجرة التي ورد لأهلها المدحُ والثنـاءُ مـن بـدء الهجرة إلى فتح مكة ما يأتي:

1 ـ حـديث ابـن عبـاس فـي الصـحيحين، واللفـظُ للبخـاري (2825)، أنَّ النَّبِيَّ قال يومَ الفتح: ((لا هجرةَ بعد الفتـح، ولكـن جهادٌ ونيَّةٌ، وإذا استُنفِرْتُم فانفِروا)).

قال الحافظ في شرحه: ((قال الخطّابيُّ وغيرُه: كانت الهجرةُ فرضاً في أوَّل الإسلام على مَن أسـلم لقلَّـة المسـلمين بالمدينـة وحاجتِهم إلى الاجتماع، فلمَّا فتح الله مكةَ دخل النَّـاسُ فـي ديـن الله أفواجـاً، فسـقط فـرضُ الهجـرة إلـى المدينـة، وبقـي فـرضُ الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدوٌّ)).

2 ـ حديث أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود في الصحيحين، واللفظُ للبخاري (3079)، قال: ((جاء مجاشعٌ بأخيه فقال: هذا مجالد يبايعُك على ، مجالد بن مسعود إلى النَّبِيِّ الهجرة، فقال: لا هجرةَ بعد فتح مكة، ولكن أبايعُه على الإسلام)).

وفي لفظٍ للبخاري (2963) قال مجاشع: ((أتيتُ النَّبِيَّ أنا وأخي، فقلتُ: بايعْنا على الهجرة، فقال: مَضتِ الهجرةُ لأهلها، فقلتُ: علامَ تبايعنا؟ قال: على الإسلام والجهاد)).

وهو يدلُّ على استمرار الهجرة ذات المدح والثناء إلى فتح مكة.

3 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((انقطعت الهجرةُ منذُ مكة فتح الله على نبِيِّه)) رواه البخاري (3080).

وهو واضحٌ في استمرار الهجرة ذات الفضل إلى فتح مكة.

4 ــ حديث جرير رضي الله عنه مرفوعاً: ((المهاجرون والأنصارُ بعضُهم أولياءُ بعض في الدنيا والآخرة، والطُّلَقاءُ من قريشٍ والعتقاءُ من ثقيفٍ بعضُهم أولياءُ بعضٍ في الدنيا والآخرة))، وهوحديثٌ صحيحٌ، انظر تخريجه في السلسلة الصحيحة للألباني (1036) والمسند (4/363).

والمقابلة بين المهاجرين والأنصار وبين الطُّلَقاء والعتقاء دالَّةٌ على استمرار الهجرة إلى فتح مكة.

وقد أورد المالكي في (ص:46 ــ 47) حديثَ مجاشعٍ، وفيه الدلالة على أنَّ الهجرة تنتهي بفتح مكة، وهو يخالفُ ما زعمَه في (ص: 45 ــ 46) من أنَّ الهجرةَ تنتهي بصُلح الحُديبية فقال: ((الدليلُ الخامس عشر ما رواه البخاري في صحيحه عن أخي بعد الفتح، فقلتُ: يا مجاشع بن مسعود قال: أتيتُ النَّبِيَّ رسول الله! جِئتُك بأخي لتبايعَه على الهجرة، قال: ذهب أهلُ الهجرة بما فيها.

أقول: هذه (كذا) فيه دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ فتحَ مكة قطع الهجرة، ولا يحصل مسلمو الفتح على اسم الهجرة ولا فضلها وعلى هذا فلا يُسمَّوْن مهاجرين، وإنَّما ، حتى لو وفدوا إلى النَّبِيِّ يُسمَّوْن (الناس) كما في حديث (أنا وأصحابي حيِّزٌ والناسُ حيِّزٌ)، أو يُسمَّون الطُّلَقاء، أو نحو ذلك !)).

ثمَّ علَّق على هذا بقوله:((وقوله: (ذهب أهلُ الهجرة بِما فيها) أي
بِما فيها من فضلٍ وتسميةٍ وغيرِ ذلك مِمَّا هو من خصائص المهاجرين وفضائلهم)).

وأقول: هذا واضحٌ في استمرار الهجرة ذات الثناء والمدح إلى فتح مكة، وهو خلافُ ما دندن حولَه من أنَّ الهجرةَ المحمود أهلُها تنتهي بصلح الحُديبية، وهذا الحديثُ قد أوردتُه قريباً من جملة الأدلَّة الدالَّة على استمرار الهجرة المحمود أهلُها إلى فتح مكة، وليس إلى صلح الحُديبية كما زعم، وقد وُفِّق هنا للصواب بتقرير أنَّ الهجرةَ تستمرُّ إلى فتح مكة، وإن كان ذلك بغير قصدٍ منه.

وأمَّا الأمورُ الأربعةُ الباقيةُ، وهي قصرُه الصُّحبةَ الشرعية التي جاء مدحُها في الكتاب والسنَّة على المهاجرين قبل الحُديبية والأنصار إلى زمن صلح الحُديبية، ونفي هذه الصحبة عن المهاجرين بعد الحُديبية، وعن الطُّلَقاء وعتقاء ثقيف وأصحاب الوفود وأبناء المهاجرين والأنصار، فيجاب عن ذلك بأنَّ هذا التقسيم للصحابة إلى مَن صُحبتُهم صُحبةٌ شرعيةٌ ومَن صُحبتُهم لُغويةٌ شبيهةٌ بصحبة المنافقين والكافرين تقسيمٌ غيرُ صحيحٍ، وهو من محدثات القرن الخامس عشر، والصحيحُ أنَّ كلَّ مَن لقي النَّبِيَّ مؤمناً به ومات على الإسلام فهو من أصحابه.

وأصحُّ ماوقفتُ)) :قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (1/10) عليه من ذلك أنَّ الصحابيَّ مَن لقي النَّبِيَّ مؤمناً به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه مَن طالت مجالسته له أوقصُرت،

ومن روى عنه أو لَم يروِ، ومن غزا معه أو لَم يغزُ، ومن رآه رُؤيـةً ثمَّ شرح تعريفَـه ((ولو لَم يجالسْه، ومَن لَم يرَه لعارضٍ كالعمى هذا إلى أن قـال (1/12):ـ ((وهـذا التعريـفُ مَبنِـيٌّ علـى الأصـحِّ المختارِ عند المحقِّقين كالبخـاري وشـيخِه أحمـدَ بـن حنبـل ومـن تبعهما، ووراء ذلك أقـوالٌ أخـرى شـاذَّةٌ ...)) وأشـار إلـى جملـةٍ منها، وهذا التعريفُ هو الأسلمُ، وهو يشملُ حتى الذين رأوا النَّبِيَّ مجرَّدَ رؤية ولَم يُجالِسوه، ويدلُّ لذلك أدلَّةٌ :

الأول: قال الله عـزَّ وجـلَّ: {مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ اللـه وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُـجَّداً يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِنَ الله وَرِضْوَاناً سِـيمَاهُمْ فِـي وُجُـوهِهِم مِـنْ أَثَـرِ السُّـجُودِ ذَلِـكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَـطْأَهُ فَـآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الـزُّرَّاعَ لِيَغِـيظَ بِهِـمُ الْكُفَّـارَ وَعَـدَ اللـه الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ مِنْهُـم مَغْفِـرَةً وَأَجْـراً عَظِيماً}.

 فإنَّ هذه الآيـةَ الكريمـةَ عامَّـةٌ فـي جميـع أصـحاب الرسـول ومَـن كـان قبـل ذلـك ، سواءً مَن كان أسلم عام الفتـح وصـحبه وبعده إلى وفاة الرسول .

وقد تأوَّل المالكيُّ هذه الآيـةَ بقصـرِ عمومِهـا علـى المهـاجرين والأنصار قبل الحُديبية وهو تحكُّمٌ وتعسُّفٌ، وسيأتي الرَّدُّ عليه.

الثاني: قال الله عزَّ وجلَّ: {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَـبِيلِ اللـه وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْـدُ وَقَـاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

فإنَّ الآيةَ عامَّةٌ في الصحابة، والفتحُ فيها فتحُ مكـةَ علـى قـول الجمهور، وصلحُ الحُديبية على قول بعـض العلمـاء، وسـيأتي ذكـر المالكي للآية مستدلاًّ بها على رأيه الباطل والرَّدّ عليه.

الثالث: قال الله عزَّ وجلَّ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

ففي الآية دليلٌ على أنَّ مَن آمن وهاجر وجاهد مع المهاجرين والأنصار من الصحابة الذين تأخَّر إسلامُهم أنَّهم منهم في الأجر والثواب، مع التفاوت الكبير بين هؤلاء وهؤلاء، قال الشوكاني في فتح القدير: ((ثمَّ أخبر سبحانه بأنَّ من هاجر بعد هجرتهم وجاهد مع المهاجرين الأوَّلين والأنصار فهو مِن جملتِهم أي: من جملة المهاجرين الأوَّلين والأنصار في استحقاق ما استحقُّوه من الموالاة والمناصرة وكمال الإيمان والمغفرة والرزق الكريم)).

الرابع: قال الله عزَّ وجلَّ: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ أَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}.

فإنَّ الآيةَ في الصحابة جميعاً، فيدخلُ فيها كلُّ مَن كان معه وجاهد قبل الفتح وبعده، في حُنين والطائف وغزوة تبوك، قال ابن كثير في تفسيره: ((لَمَّا ذكر تعالى ذمَّ المنافقين بيَّن ثناءَه على المؤمنين وما لهم في آخرتهم، فقال: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا} إلى آخر الآيتين من بيان حالِهم ومآلهم، وقوله: {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ}، أي: في الدار الآخرة في جنَّات الفردوس والدرجات العُلَى)).

ويدلُّ لذلك أيضاً قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ}، أي: أنَّ الله كافيك وكافي من اتَّبعك من المؤمنين.

الخامس: قال الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذين آمَنُـوا مَعَـهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِمْ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا أَتْمِـمْ لَنَـا نُورَنَـا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

والـذين آمنـوا معـه يـوم ففي الآيةِ الكريمة بيانُ حـال النَّبِـيِّ القيامة، ويدخل في ذلك الصحابة رضي اللـه عنهـم دخـولاً أوَّليًّـا؛ لأنَّهم خيارُ المؤمنين وسادات الأولياء بعد الأنبياء والمرسَلين.

 السادس: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عـن النَّبِـيِّ قال:

((يأتي على الناس زمان، يغـزو فئـامٌ مـن النـاس، فيُقـال لهـم: هل فيكم مَن رأى رسولَ الله ؟ فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم، ثمَّ يغزو فئامٌ من الناس، فيُقال لهم: هل فيكم مَن رأى مَن صَحب رسولَ الله ؟ فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم، ثمَّ يغزو فئامٌ من الناس، فيُقال لهم: هل فيكم مَن رأى مَن صَحِب من صَحب رسولَ الله ؟ فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم)) رواه مسلم (2532).

تحصُـل فهذا الحديث الصحيحُ دالٌّ على أنَّ الصُّحبةَ للرسـول برؤيته، وإن لَم تطُلْ صحبتُه إيَّاه.

قال علي بن المديني ـ رحمه اللـه ــ فـي اعتقـاده الـذي رواه عنه اللالكائي بإسناده في كتابه ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)): (1/188) فساقه، وفيه مَن صَحِبَه سَنةً أو شهراً أو ساعةً، أو رآه، أو وفد إليه فهو مـن أصـحابه، لـه مـن الصُّـحبة على قدر ما صحبَه، فأدناهم صحبةً هو أفضلُ من الذين لَم يـروه، ولو لقوا الله عزَّ وجلَّ بجميع الأعمال، كان الـذي صـحب النَّبِـيَّ ورآه بعينيه وآمن به ولو ساعة أفضلَ بصُحبته من التابعين كلِّهـم، ولو عملوا كلَّ أعمال الخير)).

وقد سـاق اللالكـائيُّ فـي كتـابه أيضـاً (1/180) اعتقـاد الإمـام أحمد بإسناده إلى عَبدوس بن مالـك العطَّـار عنـه، وفيـه تعريـف الصـحابي وبيـان فضـيلة الصُّـحبة بنحـو كلام علـي بـن المـديني

المتقدِّم.

قال ابن تيمية في منهاج السنَّة (8/382 ـ 388): ((ومِمَّا يبيِّن هذا أنَّ الصُّحبةَ فيها عمومٌ وخصوصٌ، فيُقال: صَحبِه ساعةً ويوماً وجمعةً وشهراً وسنةً، وصَحِبَه عمرَه كلَّه.

وقد قال تعالى: {وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ}، قيل: هو الرفيق في السَّفر، وقيل: الزوجة، وكلاهما تقلُّ صُحبتُه وتكثر، وقد سَمَّى الله الزوجةَ صاحبةً في قوله: {أَنَّى يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ}.

ولهذا قال أحمد بن حنبل في الرسالة التي رواها عَبْدوس بن مَن صحب النَّبِيَّ) :مالك عنه رآه مؤمناً به، فهو من أصحابه، له من الصُّحبة على قدر ما صحبَه).

وهذا قول جماهير العلماء من الفقهاء وأهل الكلام وغيرِهم: يَعُدُّون في أصحابه مَن قلَّت صحبتُه ومَن كثرت، وفي ذلك خلافٌ ضعيف.

والدليلُ على قول الجمهور ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي يأتي على الناس زمان، يغزو) :قال سعيد الخدري، عن النَّبِيِّ ؟ فئامٌ من الناس، فيُقال: هل فيكم مَن رأى رسول الله فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم، ثمَّ يغزو فئامٌ من الناس، فيُقال: هل ؟ فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم، ثمَّ فيكم مَن رأى مَن صحب النَّبِيَّ يغزو فئامٌ من الناس، فيُقال: هل فيكم مَن رأى مَن صحب من وهذا لفظ ،(؟ فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم صحب رسولَ الله يأتي على الناس زمان يُبعَثُ منهم) :مسلم، وله في رواية أخرى البعث، فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحداً مِن أصحاب ؟ فيوجد الرَّجل، فيُفتَح لهم به، ثمَّ يُبعث البعثُ رسول الله ؟ الثاني، فيقولون: هل فيكم مَن رأى أصحابَ رسول الله

فيقولون: نعم! فيُفتَح لهم بـه، ثـمَّ يُبعـثُ البعـثُ الثـالث، فيُقـال: ؟ انظروا هل ترون فيكم مَن رأى مَن رأى أصحابَ رسـولِ اللـه فيقولون: نعم، ثمَّ يكون البعثُ الرابـع، فيُقـال: هـل تـرون فيكـم ؟ فيوجد الرَّجل أحداً رأى من رأى أحداً رأى أصحاب رسول الله ولفظ البخاري ثلاث مرَّات كالرواية الأولـى، لكـن ،(فيُفتحُ لهم به لفظه: (يأتي على الناس زمان يغـزو فِئـامٌ مـن النـاس)، وكـذلك قـال فـي الثانيـة والثالثـة، وقـال فيهـا كلِّهـا: (صَـحِب)، واتَّفقـت الروايات علـى ذِكـر الصـحابةِ والتـابعين وتـابعيهم، وهـم القـرون الثلاثة، وأمَّا القرن الرابع فهـو فـي بعضـها، وذِكـرُ القـرن الثـالث ثابت في المتفق عليه من غير وجه، كما في الصحيحين عـن ابـن خيرُ أمَّتِي القرن الذين يَلـونَنِي،) : مسعود قال: قال رسول الله ثمَّ الذين يلُونَهم، ثمَّ الذين يلُونَهم، ثمَّ يجيء قـومٌ تسـبق شـهادةُ أحدِهم يَمينَه ويَمينُه شهادتَه).

قـال: (إنَّ خيرَكـم وفـي الصـحيحين عـن عِمـران: أنَّ النَّبِـيَّ قرنِي ثمَّ الذين يلُونَهم، ثمَّ الذين يلُونَهم)، قـال عِمـران: فلا أدري بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، (ثمَّ يكون بعدهم قومٌ أقال رسول الله يشـهدون ولا يُستشـهدون، ويخونـون ولا يُؤتمَنـون، وينـذِرون ولا يوفون)، وفي رواية: (ويحلفون ولا يُستحلفون)، فقد شكَّ عمران في القرن الرابع ...)).

هـل فيكـم مَـن رأى) :إلـى أن قـال: ((ففـي الحـديث الأول هل فيكم مَن رأى مَـن صحب رسـول) :ثمَّ قال (؟ رسول الله فدلَّ علـى أنَّ الرَّائـي هـو الصَّـاحب، وهكـذا يقـول فـي ،(؟ الله هل فيكم من رأى مَن صَـحبَ مَـن) :سائر الطبقات في السؤال ثمَّ يكون المراد بالصَّاحب الرائي (؟ صَحِبَ رسولَ الله.

هـل تجـدون فيكـم أحـداً مـن أصـحاب) :وفي الروايـة الثانيـة هل فيكم من رأى من رأى) :ثمَّ يقال في الثالثة (؟ رسول الله أصحاب رسول الله (؟).

ومعلومٌ إن كان الحكمُ لصاحب الصاحب معلَّقاً بالرؤية، ففي بطريق الأوْلَى والأحْرَى الذي صحب رسولَ الله.

ولفظ البخاري قال فيها كلِّها: (صَحِب)، وهذه الألفاظ إن كانت فهي نصٌّ في المسألة، وإن كان قد كلُّها من ألفاظ رسول الله قال بعضَها، والراوي مثل أبي سعيد يروي اللَّفظ بالمعنى، فقد دلَّ على أنَّ معنى أحد اللَّفظين عندهم هو معنى الآخر، وهم أعلمُ بِمعاني ما سمعوه من كلام رسول الله.

فقد حصل المقصود، وإن (رأى) وأيضاً فإنْ كان لفظ النَّبِيِّ كان لفظه (صحب) في طبقة أو طبقات، فإن لَم يُرِد به الرؤية لَم يكن قد بيَّن مرادَه، فإنَّ الصُّحبةَ اسمُ جنسٍ ليس لها حدٌّ في الشرع ولا في اللغة، والعُرف فيها مختلف.

لَم يُقيِّد الصُّحبةَ بقيدٍ، ولا قدَّرها بقدر، بل علَّق الحكمَ والنَّبِيُّ بمطلقها، ولا مُطلقَ لها إلاَّ الرؤية.

وأيضاً فإنَّه يُقال: صَحِبَه ساعةً وصَحِبَه سنةً وشهراً، فتقع على القليل والكثير، فإذا أُطلقت من غير قيد لَم يَجُز تقييدُها بغير دليل، بل تُحملُ على المعنى المشترك بين سائر موارد الاستعمال.

ولا ريب أنَّ مجرَّدَ رؤية الإنسان لغيره لا توجب أن يُقال: قد صَحِبَه، ولكن إذا رآه على وجه الاتِّباع له والاقتداء به دون غيره من الكفَّار والاختصاص به، ولهذا لَم يُعتدَّ برؤية مَن رأى النَّبِيَّ والمنافقين؛ فإنَّهم لَم يروه رؤيةَ مَن قَصْدُه أن يؤمن به، ويكون من أتباعه وأعوانه المصدِّقين له فيما أخبر، المطيعين له فيما أمر، الموالين له، المُعادين لِمَن عاداه، الذي هو أحبُّ إليهم من أنفسِهم وأموالِهم وكلِّ شيء)).

أتى السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله المقبرة، فقال: ((السَّلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنَّا إن شاء

الله بكم لاحقون، وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا، قالوا: أوَلَسْنا إخوانَك يا رسول الله؟! قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لَم يأتوا بعد)) الحديث، رواه مسلم (249) وغيرُه.

فدلَّ الحديثُ على التمييز بين أصحابه وإخوانِه، وأنَّ أصحابَه هم الذين أدركوه ورأوه، وإخوانَه الذين يأتون مِن بعد ولَم يروه، والمرادُ بالأُخوَّة الأخوَّة الإيمانية، والصحابةُ جمعوا بين الصُّحبةِ والأُخوَّة، والذين بعدَهم نصيبُهم الأُخوَّة وحدها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (8/389): ((ومعلومٌ أنَّ قوله (إخواني) أراد به إخواني الذين ليسوا بأصحابي، وأمَّا أنتم فلكم مزيَّة الصُّحبة ...

فجعل هذا حدًّا فاصلاً بين إخوانه الذين ودَّ أن يراهم وبين أصحابه، فدلَّ على أنَّ مَن آمن به ورآه فهو من أصحابه، لا مِن هؤلاء الإخوان الذين لَم يَرَهم ولَم يَرَوْه، فإذا عُرف أنَّ الصُّحبةَ اسمُ جنسٍ تَعُمُّ قليلَ الصُّحبة وكثيرَها، وأدناها أن يصحبَه زمناً قليلاً، فمعلومٌ أنَّ الصِّديقَ في ذروةِ سَنَام الصُّحبة وأعلى مراتبها؛ فإنَّه صَحِبَه من حين بعثه الله إلى أن مات)).

الثامن: روى الإمام أحمد في مسنده (4/152) عن محمد بن عُبيد الطنافسي قال: ثنا محمد ـ يعني ابنَ إسحاق ـ حدَّثني يزيد بن أبي حبيب، عن مَرثد بن عبد الله اليَزَنِي، عن أبي عبد الرحمن الجُهنِيِّ قال: ((بينا نحن عند رسول الله طلع رَكْبان، فلمَّا رآهما قال: كِنديان ومُذْحِجيان، حتى أتياه، فإذا رجالٌ من مُذحج، قال: فدنا إليه أحدُهما ليُبايِعه، قال: فلمَّا أخذ بيده قال: يا رسول الله! أرأيتَ مَن رآك فآمن بك وصدَّقك واتَّبعك: ماذا له؟ قال: طوبى له، قال: فمسح على يده، فانصرف، ثمَّ أقبل الآخرُ حتى أخذ بيده ليُبايِعه، قال: يا رسول الله! أرأيتَ مَن آمن بك وصدَّقك واتَّبعك ولَم يرَك؟ قال: طوبى له، ثمَّ طوبى له، ثمَّ طوبى له، فمسح على يده فانصرف)).

وهذا الإسناد فيه محمد بن عُبيد ويزيد بن أبي حبيب ومرثَد بن

عبد اللـه اليزنـي، وهـم ثقـات مـن رجـال الجماعـة، ومحمـد بـن إسحاق صدوق يدلِّس، وقد صرَّح بالتحديث.

والإيمـان بـه وقـد رُتِّـب الفضـلُ فـي الحـديث علـى رؤيتـه وتصديقه واتِّباعه.

التاسع: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللَّفظ للبخاري (3650) عـن عِمـران بـن حُصـين رضـي اللـه عنهمـا قـال: قـال رسول الله : ((خيرُ أُمَّتِي قرنِي، ثمَّ الـذين يلـونَهم، ثـمَّ الـذين)) يلونَهم، قال عِمران: فلا أدري أَذَكر بعـد قرنـه قرنيـن أو ثلاثـة الحديث.

وروَيا أيضاً، واللفظ للبخاري (3651) عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ قال: ((خيرُ النـاس قرنـي، ثـمَّ الـذين يلونَهم، ثمَّ الذين يلونَهم)) الحديث.

والقرنُ الأوَّل مِن هذه القرون هـو قـرنُ الصـحابة رضـي اللـه عنهم، قال النووي في شرح صـحيح مسـلم (16/84): ((والمرادُ أصحابُه ، العلماءُ على أنَّ خيرَ القرون قرنُه اتَّفـق)).

ونقل عن القاضي عياض أنَّ شهر بن حوشَـب قـال: ((قرنُـه: ما بَقيتْ عينٌ رأتْه، والثاني: ما بقيت عينٌ رأت مَن رآه، ثمَّ كذلك)).

وقـال ابـن تيميـة فـي منهـاج السـنة (8/384):ـ ((واتَّفقـت الروايات علـى ذِكـر الصـحابة والتـابعين وتـابعيهم، وهـم القـرون الثلاثة)).

ويَروه وجاء في السنة الصحيحة وَصْفُ الذين لَم يُدركوا زمنَه

بـ (التابعين)، ففي صحيح مسلم (2542) عن عمـر بـن الخطـاب

يقـول: ((إنَّ خيـرَ رضي الله عنه قال: إنِّي سمعتُ رسول اللـه التابعين رجلٌ يُقال له أُوَيس، لـه والـدةٌ وكـان بـه بيـاض، فمُـروه فليستغفر لكم))، وهو يدلُّ على التمييز بين الصحابة والتابعين.

العاشـر: روى مسـلم (2531) عـن أبـي بُـردة، عـن أبيـه أبـي موسى الأشعري رضـي اللـه عنـه قـال: ((صـلَّينا المغـربَ مـع رسول الله ، قـال: ثمَّ قلنا: لو جلسنا حتى نصـلي معـه العشـاءَ، قـال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: ما زلتُم ههنا؟ قلنا: يـا رسـول اللـه! صلَّينا معك المغربَ، ثمَّ قلنا: نجلس حـتى نصـلِّيَ معـك العشـاءَ، قال: أحسنتم أو أَصـبتُم، قـال: فرفـع رأسَـه إلـى السـماء، وكـان كثيراً مِمَّا يرفع رأسه إلى السماء، فقـال: النُّجـومُ أَمَنَـةٌ للسـماءِ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أَمَنةٌ لأصـحابي، فـإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأصحابي أَمَنةٌ لأمَّتِي، فإذا ذهــب أصحابي أتى أمَّتي ما يوعَدون)).

وفي صحيح البخاري (3876) أنَّ أبـا موسـى رضـي اللـه عنـه قدِم إلى النَّبِيِّ وأبـو حين فتح خيـبر، وكـان ذلـك بعـد الحُديبيـة، موسى رضي اللـه عنـه مِمَّـن يشـمله حـديثه هـذا، لا كمـا يقـول المالكي مِن أنَّ الصُّـحبةَ الشـرعيَّة هـي لِمَـن كـانت هجرتُـه قبـل الحُديبية؛ لأنَّ الحُديبية في سنة ست من الهجرة، وفتح خيـبر فـي سنة سبع.

الحادي عشر: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس (1739) وأبي بكرة (1741) في خطبة النَّبِـيِّ بِمِنـى فـي حجَّـة الوداع، وفي آخرهـا: ((فليُبلِّـغ الشـاهدُ الغـائبَ))، وحـديث أبـي بكرة رواه مسلم أيضاً (29).

وهؤلاء الذين حجُّـوا معـه وشـهدوا خطبتَـه وسَـمعوها، وأُمـروا بإبلاغها غيرَهم هـم مـن أصـحابه، لا كمـا يقـول المـالكي مـن أنَّ الصُّحبةَ الشرعيَّة خاصَّةٌ بِمَن كان قبل الحُديبية.

الثاني عشر: روى أبو داود في سننه (3659) بإسناد صحيح تَسمعون ويُسمع)) :عن ابن عباس قال: قال رسول الله ((منكم، ويُسمَع مِمَّن سَمِع منكم.

هم من أصحابه، وأنَّ وهو دالٌّ على أنَّ الذين سَمعوا منه الذين سَمعوا من الصحابة هم التابعون، وأنَّ الذين سَمعوا مِمَّن سَمع من الصحابة هم أتباع التابعين، ولا يُقال: إنَّ مَن سَمع وحدَّث عنه ليس بصحابي رسولَ الله.

الثالث عشر: روى أبوداود في سننه (3660) عن زيد بن ثابت يقول: ((نضَّر الله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله امرءاً سَمِع منَّا حديثاً فحفظه حتى يبلِّغَه ...)) الحديث.

وهوحديثٌ متواتر؛ رواه أربعة وعشرون صحابيًّا، وقد جمعتُ طرقَه وتكلَّمتُ على فقهه في بحث بعنوان: ((دراسة حديث (نضَّر الله امرءاً سمع مقالتِي ...) رواية ودراية))، وهو مطبوع، منه أنَّه من أصحابه وهو دالٌّ على كون مَن سَمع حديثَه.

الرابع عشر: روى البخاري في الأدب المفرد (87) قال: حدَّثنا بِشر ابن محمد، قال: أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا صفوان بن عمرو قال: حدَّثني عبد الرحمن بن جبير بن نُفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمرَّ به رجلٌ، فقال:)) والله! لوَدِدنا أنَّا ، طوبَى لِهاتَين العينين اللَّتين رأَتا رسولَ الله رأينا ما رأيتَ، وشهدنا ما شهدتَ، فاستُغضِب، فجعلت أَعْجَب: ما قال إلاَّ خيراً! ثمَّ أقْبَلَ عليه فقال: ما يَحمل الرَّجلَ على أن يتمنَّى مَحضراً غيَّبه الله عنه؟ لا يدري لو شَهدَه كيف يكون فيه؟ والله! أقوامٌ كبَّهم الله على مناخرِهم في جهنَّم؛ لقد حضر رسولَ الله لَم يُجيبوه ولَم يُصدِّقوه، أوَ لا تَحمدون الله عزَّ وجلَّ إذ أخرجكم لا قد كُفيتُم البلاء ، تعرفون إلاَّ ربَّكم فتُصدِّقون بِما جاء به نبيُّكم الحديث ((... بغيركم.

وعبد الله الذي في الإسناد هو ابن المبارك، وهو ثقة، أخرج له

الجماعة، والثلاثة الذين فوقه ثقات، أخرج لهم البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأصحاب السنن، والراوي عن ابن المبارك، قال عنه الحافظ في التقريب: ((صدوق))، وقد رواه عن ابن المبارك جمعٌ، منهم: يَعمر بن بشر في مسند الإمام أحمد (6/3)، وحسين بن حسن في الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (292)، وقد أورد الحديثَ ابنُ كثير في تفسيره في آخر سورة الفرقان من مسند الإمام أحمد، وقال: ((هذا إسنادٌ صحيح ولَم يخرجوه)).

وهو يدلُّ على أنَّ التابعين يَرون أنَّ شَرَفَ الصُّحبةِ يَحصُل برؤيتِه مع الإيمان به؛ ولَم يُنكر ذلك المقداد رضي الله عنه، وإنَّما غضب لِتمنِّي أمرٍ لا يدري المُتمنِّي ماذا يكون حالُه عند حصولِه، وهذا الذي غضب منه المقداد نظيرُ ما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: أنَّ النَّبِيَّ قال: ((لا تَتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، وسلُوا الله العافيةَ، وإذا لقيتُموه فاصبِروا، واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحت ظلالِ السيوف))؛ لأنَّ متمنِّيَ لقاء العدوِّ لا يدري عن حاله حين لقائه: هل تكون حسنة أو سيِّئة؟

ويدلُّ أيضاً لفرح التابعين برؤية الصحابة ما رواه أبو داود في سننه (948) بإسنادٍ فيه ضعف، عن هلال بن يَسَاف قال: ((قدمتُ الرَّقَّةَ، فقال لي بعضُ أصحابي: هل لك في رجلٍ من أصحاب النَّبِيِّ ؟ قال: قلت: غنيمة! فدفعنا إلى وابِصة، قلت لصاحبِي: نبدأ فننظر إلى دلِّه، فإذا عليه قلنسوة لاطئةٌ ذات أُذنين وبُرنس خَزٍّ أغبر ...)) الحديث.

ووابِصةُ هو ابن معبد رضي الله عنه، وقد وفد على النَّبِيِّ سنة تسع من الهجرة، ولَمَّا عُرض على هلال بن يساف لقاؤه فرح، وقال: ((غنيمة!)).

أقول: وإنَّها والله غنيمة وأيُّ غنيمة؛ ظَفَرُ التابعيِّ برؤية مَن شرَّفه الله بصحبة النَّبِيِّ مع الإيمان به والاتِّباع له!

الخامس عشر: قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (1/20 ـ

(21:

وقد كان تعظيمُ الصحابة ـ ولو كان اجتماعُهم به صلَّى الله)) عليه وآله وسلم قليلاً ـ مقرَّراً عند الخلفاء الراشدين وغيرهم، فمِن ذلك ما قرأت في كتاب أخبار الخوارج تأليف محمد بن قدامة المروزي، بخطٍّ بعضِ مَن سمعه منه في سنة سبعٍ وأربعين ومئتين، قال: حدَّثنا علي بن الجعد، قال: حدَّثنا زهير هو الجعفي، عن الأسود بن قيس، عن نُبَيْح العَنَزِي قال: كنت عند ثمَّ ذكره الحافظ بإسناده إلى نُبيح قال: ((،((أبي سعيد الخدري كنَّا عنده وهو متَّكئ، فذكرنا عليًّا ومعاوية، فتناول رجلٌ معاويةَ، فاستوى أبو سعيد الخدري جالساً، ثمَّ قال: كنَّا ننزلُ رفاقاً مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فكنَّا رفقةً فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حُبلى، ومعنا رجلٌ من أهل البادية، فقال للمرأة الحامل: أَيَسُرُّك أن تلِدي غلاماً، قالت: نعم! قال: إن أعطيتِنِي شاةً ولَدتِ غلاماً، فأعطَتْه، فسَجَع لها أسجاعاً، ثمَّ عمد إلى الشاةِ فذبحها وطبخها، وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر، فلمَّا علم بالقصَّة قام فتقيَّأ كلَّ شيءٍ أكل، قال: ثمَّ رأيتُ ذلك البَدَويَّ أُتِي به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصارَ، فقال لهم عمر: لولا أنَّ له صحبةً من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ما أدري ما نال فيها لَكَفَيْتُكموه، ولكن له صحبة مِن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم)).

ثمَّ قال الحافظ: ((لفظ علي بن الجعد، ورجال هذا الحديث ثقات، وقد توقَّف عمر رضي الله عنه عن معاتبتِه فضلاً عن معاقبتِه لكونه علم أنَّه لقي النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك أبينُ شاهد على أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ شأنَ الصحبة لا يعدله شيء)).

ورجال ،ثمَّ ذكر أحاديث في فضل أصحاب رسول الله الإسناد ثقات كما قال الحافظ ابن حجر، فعليُّ بن الجعد خرَّج له

البخاري وأبو داود، وزهير بن معاوية والأسود بن قيس خـرَّج لهـم أصحاب الكتب الستة، ونُبيح العَنَزي خرَّج له أصحاب السنن، قال عنه المزيُّ في تهذيب الكمال: ((روى عنه الأسود بن قيس وأبو خالد الدالاني، قال أبو
زرعة: ثقة لَم يرو عنه غير الأسود بن قيس، وذكره ابن حبان في كتاب الثقـات))، وقـال الحـافظ فـي تهـذيب التهـذيب: ((قلـت: وقال العجلي: كوفي تابعي ثقـة، وذكـره علـي بـن المـديني فـي جملة المجهولين الـذين يـروي عنهـم الأسـود بـن قيـس، وصـحح الترمذي حديثه وكذلك ابن خزيمة وابن حبان والحاكم)).

وقول الحافظ: ((رجال هذا الحديث ثقات))، وفيهم نُبيـح هـو المعتمَد، وأمَّا قـوله فـي التقريـب عنـه: ((مقبـول))، أي: حيـث يُتابَع، فغير مقبول.

ولا شكَّ أنَّ هجوَ هذا الأعرابي الصحابي للأنصـار لا يرجـع إلـى نُصرتهم للرسول ؛ لأنَّ ذلك نفاقٌ، وإنَّما يرجع لشيء غير ذلك، وسيأتي نقل ابن حجر عن القرطـبي صـاحب المفهـم مـا يوضـح ذلك.

وقد يكون هـذا الهجـوُ أخـفَّ مـن الـذَّمِّ الـذي أضـافه المـالكي للأنصار، وذلك بنسبته إلى أكثرهم كون علي رضي الله عنه أولى بالخلافة من أبي بكر، كما سيأتي عند ذِكر تشكيكه في أحقَّية أبي بكر بالخلافة، ؛ فإنَّ ذلك سوءُ ظنٍّ بهم، وأنَّهم يأبَون إلاَّ غيـر أبـي بكر، وقد قال النَّبِيُّ :
((يأبَى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر)).

ويدلُّ أيضاً لشمول الصُّحبة لكـلِّ مـن رآه أو سَـمع منـه حـديثاً وصحبه مدَّة وجيزة أو طويلة ما يلي:

متَّفقـون علـى ثبـوت الأول: أنَّ الذين دوَّنوا سنَّة رسول الله ولـو كـان الـذي سـمعه منـه حـديثاً ، الصُّحبة لكلِّ مَن سَمِع منه واحداً؛ فإنَّهم يسوقون الأسانيد حتى تنتهـي إلـى الصـحابة الـذين

سمعوا منه ويتَرضَّون عنهم، ومن طريقـة أهـل السُّـنَّة والجماعـة الترضِّي عن الصحابة عند ذِكرهم والتَّرحُّم على مَن كان بعدهم.

الثاني: أنَّ الذين ألَّفوا في الصحابة أثبتوا فيهـم مَـن حصـل لـه مجرَّد اللُّقيّ للرَّسول ، ومَن لَم يَروِ عنه إلاَّ حديثاً واحداً.

الثالث: أنَّ الذين ألَّفوا في الصحابة وغيرهم، عندما يـأتي ذكـر الصحابي ـ سواء قلَّت صُحبتُه أو طالت ـ يقولون عنه: صحابي، لا يحتاجون إلى إضافة شيء على هذا الوصف إلاَّ إذا كـان الوصـفُ فيه زيادة فضل ومنقبة، ككونه من السابقين إلى الإسـلام أو مِـن أهل بدر أو مِـن أهـل بيعـة الرضـوان، فـإنَّهم يُضـيفون ذلـك إلـى وصف الصُّحبة.

الرابع: أنَّ العلماءَ على مختلف العصور والدُّهور مُطْبقون على أنَّه مـن عدِّ كلِّ مَن أسلم بعد صُلح الحُديبية وظفر بصحبة النَّبِيِّ أصحابه، سواء قصرت مدَّة صحبتِه أو طالت، ومِمَّا يوضِّح ذلك أنَّ المالكيَّ الـذي ابتلـي بـالرأي الباطـل، وهـو قَصْـر الصـحبة علـى المهاجرين والأنصار قبل صلح الحُديبية لَم يَجد له سَـلَفاً فـي هـذا الرأي الباطل إلاَّ شخصاً واحداً من المعاصـرين سَـمَّاه، وهـو عبـد الرحمن محمد الحكمي، وقد ذكر فـي ملحـق قراءتـه أنَّـه طـالبٌ يُواصــل دراســته العليــا فــي جامعــة الإمــام محمــد بــن ســعود الإسلامية، وسـتأتي الإشـارة إلـى ذلـك عنـد ذِكـر إعلان المـالكي إفلاسه من وجود سلفٍ له في رأيه سوى ذلك الشخص.

وبناءً على هـذا الـرأي الباطـل، مـاذا يقـالُ للصَّـحابة الكـثيرين بعد بيعة الرِّضوان وسَمعوا حـديثَه؟ الذين أسلموا وصحِبوا النَّبِيَّ أيقالُ لهم: تابعون، أم ماذا يقال لهم؟!

وماذا يقال لأحاديثهم: أهي مرفوعةٌ أم غيرُ مرفوعة؟!

وعند أهل السنة أنَّ المرفوعَ تصريحاً مـا قـال فيـه الصـحابيُّ: يقول كذا، وعندهم أنَّ الإسنادَ المنتهي إلـى سمعتُ رسول الله الصحابيِّ يقال له: موقوفٌ، والمنتهي إلى التَّابعي ومَن دونه يقال

يقـال لـه (ﷺ قال رسـول اللـه) له: مقطوعٌ، وما قال فيه التابعي مرسل، وعلى هذا الرأيِ الباطل للمالكي يحتاج الأمرُ إلـى إعـادة النَّظر في مصطلحات علم المصطلح، وذلـك واضـحٌ فـي شـذوذه وشذوذ قدوته الحكمي، ثمَّ يقال أيضاً إنَّ هذا الرأيَ المحدَث فــي القرن الخامس عشر لو كان خيراً لسبق إليه سـلفُ هـذه الأمَّـة، وليس من المعقول أن يُحجـب حـقٌّ فـي العصـور المختلفـة عـن الناس ويُدَّخَر للمالكي وقدوته!

بقي بعد ذلك أن أُشير إلى أمورٍ:

الأمرُ الأوَّلُ: ما ذكره مِن أنَّ صحبةَ مَن رآه بعد الحُديبية ليست شـرعية، وأنَّهـا كصـحبة المنـافقين والكفـار، مـردودٌ بـأنَّ رؤيـةَ الصحابة رؤيةٌ مع الإيمان به والتصديق بمـا جـاء بـه، بخلاف رؤيـة المنافقين والكفار، وقد مرَّ في الدليل الثامن أنَّه لما قال للنَّـبيِّ ﷺ رجلٌ: يا رسول الله! أرأيت من رآك فآمن بـك وصـدَّقك واتَّبعـك: ماذا له؟ فأجابه بقوله: ((طوبى له)).

وهو واضحٌ فـي الفـرق بيـن رؤيـة الصَّحابيِّ المصـدِّق للنَّـبيِّ ﷺ المتَّبع له، ورؤية المنافقين والكفار، ومرَّ أيضـاً فـي أثـر المقـداد ــ وهـو واللـه! لقـد حضـر)) :الدليلُ الرابع عشر ـ قولُه رضي الله عنه أقوامٌ كبَّهم الله على مناخرهم في جهنَّم؛ لَم يُجيبوه ﷺ رسولَ الله ولَم يصدِّقوه، أوَ لاَ تحمدون الله عزَّ وجـلَّ إذ أخرجكـم لا تعرفـون قـد كُفيتـم البلاء بغيركـم ،ﷺ إلاَّ ربَّكم، فتصدِّقون بما جاء به نـبيُّكم)).

ومرَّ قولُ شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمـه اللـه ــ فـي الـدليل السادس:

((ولهذا لَم يُعتدَّ برؤية مَن رأى النَّبِيَّ ﷺ من الكفـار والمنـافقين؛ فإنَّهم لَم يروه رُؤيةَ مَن قصـدُه أن يـؤمن بـه ويكـون مـن أتبـاعه وأعوانه)).

ومِمَّا تقدَّم يتَّضحُ بطلان تسوية المالكي بين صحبة مَن صحب بعد الحُديبية وصحبةِ المنافقين والكفار، {أَفَنَجْعَلُ النَّبِيَّ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}؟!

الثاني: ما ذكره في الحاشية (ص:25) من قوله: ((وقد يدخل في مسمَّى (الأصحاب) مَن أسلم بعد الحُديبية إلى فتح مكة)).

أقول: هذا الذي ذكره كلامٌ جميلٌ لو سلِمَ مِن ذكر ((قد)) في أوَّله؛ لأنَّ ذكره إيَّاه مصَدَّراً بهذا الحرف واضحٌ في عدم الجزم بصحبة هؤلاء، لكن التعريف الذي قال: إنَّه أسلمُ تعريفٍ ــ وهو في الحقيقة أفسدُ تعريفٍ ـ فيه الجزمُ بعدم صحبة مَن بعد الحُديبية، وكذا كلامه الأخير الذي ختم به الكتاب (ص:84 ــ 85) واضحٌ في قصر الصحبة على المهاجرين والأنصار إلى زمن الحُديبية.

ومِمَّا يوضِّح فسادَ تعريف الصحبة الشرعية المحمود أهلها ، المثنى عليهم في الكتاب والسنة بقَصرِها على مَن كان قبل الحُديبية، أنَّه يخرُجُ بذلك جمعٌ كبيرٌ من الصحابة مشهورون كأبي هريرة رضي الله عنه الذي هو أكثرُ الصحابة حديثاً عن رسول وكأبي موسى الأشعري وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، ، الله قبل فتح مكة وبعد الحُديبية، بل وغيرهم مِمَّن هاجر إلى النَّبِيِّ وابن عمِّه عبد الله بن عباس رضي الله وكالعباس عم النَّبِيِّ قبل فتح مكة فهو من عنهما، وكلّ من هاجر إلى النَّبِيِّ المهاجرين كما تقدَّم إيضاحُ ذلك بأدلَّتِه.

الثالث: وأمّا أبناءُ المهاجرين والأنصار فقد أخرجهم من الصُّحبة الشرعية التي خصَّ بها المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية، فقال في (ص:28): ((ولا يدخل فيهم ـ يعني الأنصار ــ أبناءُ الأنصار (الأطفال)، كما لا يدخل في المهاجرين أبناءُ المهاجرين!))، وقال أيضاً في (ص:28): ((ومنهم ـ يعني الذين اتَّبعوا المهاجرين والأنصار بإحسان ــ أبناءُ المهاجرين وأبناءُ

الأنصار!))، وأكَّد ذلك في (ص:85 و87).

أقول: أمَّا كونُ أبناء المهاجرين والأنصار من الذين اتّبعوهم فهو من بإحسان ففيه تفصيل، فمَن كان منهم رأى النَّبِيَّ أصحابه، ومن لَم يره منهم فإنَّه يكون من التابعين للصحابة بإحسان.

ومن المعلوم قطعاً أنَّ من القسم الأول: الحسن والحسين ومنهم ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، وهم مِن أهل بيته النعمان بن بَشير رضي الله عنهما الذي كان عمرُه عند وفاة ثمان سنين، والسائب ابن يزيد رضي الله عنهما الذي النَّبِيِّ وكلُّهم رَوَوا ،((وأنا ابن سبع سنين حُجَّ بي مع النَّبِيِّ)) :قال الأحاديث عن النَّبِيِّ .

من هذا القسم شرفُ الصُّحبة التي نوَّه ولكلِّ مَن رأى النَّبِيَّ بقوله: ((طوبى له))، جواباً لِمَن قال له: ((يا رسول الله! بها أرأيتَ مَن رآك فآمن بك وصدَّقك واتَّبعك: ماذا له؟))، وقد مرَّ ذِكر هذا الحديث قريباً.

الرابع: وأمَّا من أسلم عام الفتح وما بعده فقد جزم بعدمِ دخولِهم في مسمَّى الأصحاب، فقال في (ص:25 ــ الحاشية): ((لكن لا يدخل فيهم طُلقاء قريش، ولا عُتقاء ثقيف، ولا مَن كان في حكمهم من الأعراب والوفود بعد فتح مكة!!)).

مؤمناً به متَّبعاً له فهو أقول: إنَّ من المعلوم أنَّ كلَّ مَن رآه من أصحابه، وقد مرَّ الدليل على ذلك قريباً، ومن هؤلاء مَن أسلم عام فتح مكة وما بعده، وكذا الذين شهدوا معه وصحب النَّبِيَّ حجَّة الوداع.

ومن أشهر الذين أسلموا عام الفتح أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وسُهيل بن عمرو وعتَّاب بن أسيد الذي جعله النَّبِيُّ أميراً على مكة بعد فتحها، والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي

جهل وغيرهم.

ولَمَّا ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام، لقيه أبو عُبيدة وأمراء الأجناد، وأخبروه أنَّ الطاعون وقع بالشام، المهاجرين الأوَّلين، ثمَّ : فاستشار عمر أصحابَ رسول الله الأنصار، ثمَّ مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فقد روى البخاري (5729) ومسلم (2219) ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عباس)) : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بِسَرْغ لقيه أُمراءُ الأجناد: أبو عُبيدة وأصحابه، فأخبروه أنَّ الوباءَ قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادْعُ لي المهاجرين الأوَّلين، فدعاهم، فاستشارهم، وأخبرهم أنَّ الوباءَ قد وقع في الشام، فاختلفوا، فقال بعضُهم: قد خرجنا لأمرٍ، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضُهم: معك بقيَّة الناس وأصحابُ رسول ولا نرى أن تُقدِمَهم على هذا الوباء، فقال: ارتفِعوا عنِّي، ، الله ثمَّ قال: ادْع لي الأنصار، فدعوتُهم فاستشارهم، فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلفوا كاختلافِهم، فقال: ارتفِعوا عنِّي، ثمَّ قال: ادْعُ لي مَن كان ههنا من مشيخة قريش من مُهاجِرة الفتح، فدعوتُهم فلَم يَختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تُقدِمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إنِّي مُصبحٌ على الحديث، وفي آخره: ((فجاء ((... ظهر، فأصْبِحوا عليه عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيِّباً في بعض حاجته ـ فقال: إنَّ يقول: إذا سَمعتُم به عندي في هذا علماً، سَمعتُ رسول الله بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، فحمد الله عمرُ ثمَّ انصرف)).

وهو واضحٌ في أنَّ عمرَ استشار الصحابةَ رضي الله عنهم، ومنهم كبار الذين أسلموا عام الفتح، واستقرَّ رأيُه على الرجوع وعدم الدخول على الطاعون، ثمَّ إنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أخبر بِما عنده من الحديث في ذلك، فسُرَّ بذلك عمر وحَمِد الله ثمَّ انصرف.

* * *

هذا وقد أورد المالكي آياتٍ وأحاديث وآثاراً يستدلُّ بها على على المهاجرين والأنصار قبل صُلح قَصْر صُحبة الرسول الحُديبية، وليس فيما أورده ما يدلُّ على دعواه؛ لأنَّها إمَّا نصوصٌ فيها ذِكر المهاجرين والأنصار والثناء عليهم، وذلك حقٌّ، لكن لا تدلُّ على قصر الصُّحبة عليهم دون غيرهم، وإمَّا آياتٌ وأحاديث فيها الثناء على الصحابة عموماً حَمَلَها تعسُّفاً على المهاجرين والأنصار فقط، وإمَّا أحاديثُ وآثارٌ فيها ذكرُ الصحابي أصحابَ وهي لا تدلُّ على إخراج المتكلِّم والمخاطَب من ، رسول الله الصحابة، كما سيأتي إيضاح ذلك عند ذكر كثيرٍ من أدلَّتِه على وجه التفصيل، ولَم أتعقَّبْه في كلِّ دليلٍ أورده؛ لأنَّ الإجابةَ عن بعض أدلَّته تغني عن الإجابة عن غيرها مِمَّا يشابهها، ولَم أرتِّب الردَّ عليه على وفق ترتيب أدلَّته، بل قد أجيب عن دليل متأخِّرٍ قبل الإجابة على ما كان هو قدَّمه.

* * *

استدلالُه بآية {لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ} والرد عليه:

قال في (ص:25 ـ 27):ـ ((الدليلُ الأوَّلُ: مع أنَّ غزوةَ تبوك في السنة التاسعة بعد العودة من حصار الطائف، وكان عددُ جيش المسلمين فيها ثلاثين ألفاً، يعتبر المهاجرون والأنصار فيهم قلَّة، ومع ذلك لَم يأت الثناءُ إلاَّ عليهم، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

والسؤال: لماذا لَم يخبرنا الله عزَّ وجلَّ أنَّه قد تاب على كلِّ جيش
يوم تبوك؟! لماذا لَم يقل الله عزَّ وجلَّ: (لقد تاب الله النَّبِيِّ

على النبي والذين آمنوا الذين اتّبعوه في ساعة العسـرة...)؟! أو (... على النَّبِيِّ والمؤمنين ...)؟!

الجوابُ واضحٌ بأنَّ تخصيصَ الله عزَّ وجلَّ المهـاجرين والأنصـار بالتوبة دليلٌ على أنَّ مَن سواهم ليسـوا فـي منزلتهـم، ولا يجـوز الجزمُ بالتوبة عليهم.

وإنَّما نسكتُ عنهم كما سكت اللـه عنهـم، وكـأنَّ اللـه ـ واللـه أعلم ـ أراد بقَصْره الثناءَ على المهاجرين والأنصار أن يُشـعر مَـن سواهم بأنَّ المهاجرين والأنصار لَـم يسـتحقوا التوبـة عليهـم مـن الله إلاَّ بأعمال جليلةٍ قدَّموها في الماضي، وأنَّ على مَن سـواهم أن يُكثروا من التَّأسِّي بهم حتى يتوب الله عليهم كمـا تـاب علـى المهاجرين والأنصـار، والغريـبُ أنَّ بعـضَ الـذين يَخلطـون الأمـورَ يستدلُّون بالآية السابقة على أنَّ الله تـاب علـى جميـع الصـحابة، مع أنَّ الله عزَّ وجلَّ كـان يسـتطيع أن يقـول ذلـك ويُعمِّـم التوبـةَ علـى كـلِّ المـؤمنين يومئـذ، ولكنَّـه لَـم يقتصـر علـى المهـاجرين والأنصار إلاَّ لحكمة !! !!).

وعلَّق في الحاشـية علـى قـوله: ((والغريـبُ أنَّ بعـضَ الـذين يخلطون الأمورَ يستدلُّون بالآية السابقة علـى أنَّ اللـه تـاب علـى جميع الصحابة)) بقوله:

((ويقصـدون بالصـحابة كـلَّ مَـن رأى النَّبِـيَّ أو لَقِيَـه مـن المسلمين، ثمَّ يقولون هذا وقلوبهم على الطُّلَقاء !!)).

والجوابُ عن ذلك من وجوه:

الأوّل: أن يقـال: إنَّ الآيـةَ مشـتملةٌ علـى توبـة اللـه علـى المهاجرين والأنصار الذين معه في غـزوة تبـوك، لكـن ليـس فـي ذلك دليـلٌ علـى مـا زعمـه مـن قصـر الصُّحبة علـى المهـاجرين والأنصار قبل الحُديبية وهو الذي من أجلـه أورد الآيـة، وسـبق أن أوردتُ الأدلَّةَ الدالَّة على شمول الصحبة لكـلِّ مَـن صـحبه أو رآه بعد الحُديبية إلى حين وفاته.

الثاني: أنَّ الآيةَ دالَّةٌ على توبة الله عزَّ وجـلَّ علـى مَـن أسـلم

وهاجر إلى المدينة بعد الحُديبية وقبل فتح مكة، ومنهم أبو موسى الأشعري وأبو هريرة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم، وقد أخرجهم المالكي، وسبق أن ذكرت الأدلَّةَ الدالَّة على استمرار الهجرة المحمود أهلها إلى فتح مكة.

الثالث: أنَّ الآيةَ وإن لَم تنصَّ على التوبة على غير المهاجرين والأنصار، فليس فيها دليلٌ على حرمان الذين أسلموا بعد الفتح إلى تبوك من فضل الله ورحمته، بل قد ثبت وخرجوا مع النَّبِيِّ في السُّنَّة الصحيحة حصول الأجر لِمَن لَم يخرج إلى تبوك بسبب العذر، تبعاً للخارجين إليها، فقد روى البخاري في صحيحه (رجع من أنَّ رسول الله)) :4423) عن أنس رضي الله عنه غزوة تبوك فَدَنَا من المدينة فقال: إنَّ بالمدينة أقواماً ما سِرْتُم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاَّ كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله! وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حَبَسَهم العُذر)).

وروى مسلم في صحيحه (1911) بإسناده عن جابر رضي في غزاة، فقال: إنَّ بالمدينة كنَّا مع النَّبِيِّ)) :الله عنه قال لرجالاً ما سِرتُم مسيراً ولا قطعتُم وادياً إلاَّ كانوا معكم، حبسهم المرض)).

وبإسنادٍ آخر إليه، وفيه زيادة: ((إلاَّ شَرَكوكم في الأجر))، فلماذا تحجر الواسع؟! ولماذا البخل على أهل الفضلِ بما تفضَّل الله به عليهم مِمَّن كانوا معه في غزوة تبوك من الطُّلَقاء وغيرهم، وقد فاتتهم الهجرة، لكن لَم يَفُتهم الجهادُ والنيَّة والنَّفيرُ لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ)) : عند الاستنفار؟! فقد قال أخرجه البخاري ومسلم في ((ونيَّة، وإذا استُنفرتم فانفروا صحيحيهما، واللفظ للبخاري (2825).

ثمَّ إنَّ الأنصارَ الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز إنَّما وقد ، حصَّلوا اسمَ النُّصرة ووصْفَها لكونِهم نصروا الرسول حصَّل المهاجرون وصْفَ النُّصرةِ مع الهجرة، ومَن لَم يكن من

وجاهد معه في سبيل الله المهاجرين والأنصار وقد نصر النَّبِيَّ له نصيبٌ من هذا الوصف في الجملة، وله الثواب الجزيل من الله على ما حصل منه من النُّصرة، وقد نوَّه الله بفضل وثواب في غزواته ــ ومنها تبوك ــ مَن آمن وجاهد مع رسول الله بقوله: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ أَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}، وأخبر أنَّه كافيه وكافي مَن اتَّبعه من المؤمنين في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ}.

* * *

استدلالُه بآية: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ}، والرد عليه:

قال في (ص:27 ـ 29): ((الدليل الثاني: قول الله عزَّ وجلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}.

فهنا أخبر الله عزَّ وجلَّ بثلاث طوائف كانت كلُّها في عهد النَّبِيِّ :

الطائفة الأولى: السابقون من المهاجرين، وهذا قيْدٌ يُخرج المتأخِّرين من المهاجرين كخالد بن الوليد رضي الله عنه، ولا يدخل فيهم أبناء المهاجرين ولا رجال الوفود إن لَم يبقوا في المدينة، حتى ولو أسلموا قبل الحُديبية.

والطائفةُ الثانية: هم الأنصار، ولا يدخل فيهم أبناء الأنصار (الأطفال) كما لا يدخل في المهاجرين أبناءُ المهاجرين.

الطائفة الثالثة: الذين اتَّبعوهم بإحسان، كالمهاجرين بعد الحُديبية والمهاجرين من وفود العرب مِمَّن ثبت على الإسلام أيَّام الرِّدَّة، ومنهم أبناءُ المهاجرين وأبناء الأنصار، وقد يدخل في

هؤلاء مَن حسن إسلامه من طُلقاء قريش وعُتقاء ثقيف وغير هؤلاء.

إذن فالمهاجرون والأنصار لَم يشترط الله فيهم (الإحسان)؛ لأنَّ الهجرةَ والنُّصرةَ اللَّتين تقتضيان الإنفاقَ والجهادَ في أيَّام الضَّعف هما من أفضل الأعمال، ولا يحتاج هذا لقيد الإحسان، فلَم يقل: (... من المهاجرين بإحسان والأنصار بإحسان)؛ لأنَّ الرَّجلَ إن قام بالهجرة التي تقتضي ترك الأوطان والأولاد هي غاية الإحسان، كما أنَّ النُّصرة التي أجلبت على الأنصار قبائل العرب، مع تحمُّلِهم مهمَّة حماية الإسلام في أيامه الأولى لا تحتاج لقيد الإحسان؛ لأنَّها في الذِّروة منه.

 أما بعد قوَّة الإسلام والمسلمين فأصبحت الهجرةُ إلى النَّبِيِّ تعود على نفس المهاجر بالمصلحة بعد أن كانت قبل ذلك تعود بالمصلحة وعلى المهاجر أيضاً، أمَّا بعد فتح مكة على النَّبِيِّ فأصبح الالتحاق بالمسلمين يعني الغنيمة والسلامة لكثرة المال وأمن القتل.

ولهذا كلِّه نعرف لماذا قَصَرَ الله عزَّ وجلَّ الثناءَ على المهاجرين والأنصار فقط، ثمَّ قيد المهاجرين بالسابقين منهم، وهم المهاجرون الهجرة الشرعية!!)).

ويُجاب على ذلك بما يلي:

الأول: أنَّه ليس في الآيةِ دليلٌ على ما أُورِدَت الآية من أجله، وهو قصر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية، ثمَّ إنَّه جاء في سياق الآية عند المالكي زيادة حرف ((من)) قبل {تَحْتَهَا الأَنْهَارُ }، وهو خطأ، وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي لَم يأت فيه حرف ((من)) قبل {تَحْتَهَا الأَنْهَارُ}.

الثاني: جاء في الآية وصْف المهاجرين بالسابقين، وهو يدلُّ على أنَّ المهاجرين فيهم سابقون وفيهم متأخِّرون، وقد ذكر ابنُ كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية قولين في المراد

بالسَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، أحـدهما: أنَّهـم الـذين أدركوا بيعة الرِّضوان عام الحُديبية، والثاني: أنَّهم الذين صلَّوا إلى وقدكان تحويل القبلةِ إلـى الكعبـة بعـد ،ﷺ القبلتين مع رسول الله الهجرة بستة عشر شهراً.

وعلى القول الأول يكون المهاجرون المتأخِّرون مَن هاجر بعــد الحُديبية وقبل فتح مكة، ومِن هؤلاء خالـد بـن الوليـد رضـي اللـه عنه وغيره، وقد أخرجهم المالكي من الصحبة ذات المدح والثناء، وكذلك الهجرة ذات المدح والثناء.

الثـالث: أنَّ الـذين اتَّبعـوا السـابقين الأوليـن مـن المهـاجرين والأنصار بإحسان ينقسمون إلى قسمين: القسـم الأول: صـحابة، ورأوه ﷺ وهم الذين صحبوا الرسول.

ولَـم يـرَوه، مِمَّـن كـان فـي ﷺ والثاني: الذين لَم يَصحبوا النَّبِـيَّ زمنهم أو بعدهم.

ويحصلُ للجميع الأجرُ العظيمُ الموعود به في الآية.

الرابع: أنَّ ما ذكره عن المهاجرين بعد الحُديبية وقبل فتح مكة الهجرة تعود علـى نفـس المهـاجر بالمصـلحة، بعـد أن)) من أنَّ بالمصلحة وعلى المهـاجر أيضـاً ﷺ كانت قبل ذلك تعود على النَّبِيِّ ((غير صحيح؛ فإنَّ المصلحة تعود بجهـاد مَـن جاهـد منهـم علـى والمسلمين، ومن أوضح الأمثلة لذلك ما حصل لخالـد بـن ﷺ النَّبِيِّ الوليـد رضـي اللـه عنـه مـن البلاء الحسـن فـي الغـزوات الـتي شهدها، ومنها غـزوة مُؤْتـة الـتي أمَّـر نفسَـه فيهـا بعـد استشـهاد ومـا حصـل مـن الفتـح ،ﷺ الأمـراء الثلاثـة الـذين عَيَّنَهـم الرسـول للمسلمين في إمارته، فقـد روى البخـاري فـي صـحيحه (4262) نَعى زيداً وجعفراً ﷺ أنَّ النَّبِيَّ)) :بإسناده عن أنس رضي الله عنه وإبنَ رواحة للناس قبل أن يأتيَهم خبرُهم، فقال: أخـذ الرايـةَ زيـدٌ فأُصيب، ثمَّ أخذ جعفـرٌ فأُصـيب، ثـمَّ أخـذ ابـنُ رواحـة فأُصـيب ــ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف الله حـتى فتـح

((الله عليهم.

وهذا السيف من سيوف الله لَم يظفر بشرف الصُّحبة لرسول الله على رأي المالكي الباطل الذي قَصَر فيه الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية.

ومن أوضَح الأمثلة أيضاً ثبوت العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ــ وهو من الطُّلقاء ــ مع حينما انهزم الناسُ يومَ حُنين، ففي صحيح مسلم (رسول الله شهدتُ مع)) :1775) من حديث العباس رضي الله عنه قال يوم حنين، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن رسول الله على بغلةٍ فلَم نفارِقه، ورسول الله عبد المطلب رسولَ الله له بيضاء، أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي، فلمَّا التقى المسلمون والكفَّار ولَّى المسلمون مُدبرين، فطَفِق رسولُ الله يُركضُ بغْلَتَه قِبَل الكفَّار، قال عباس: وأنا آخذٌ بلجام بغلةِ رسول أكفُّها إرادةَ أن لا تُسرِع، وأبو سفيان آخذٌ برِكاب رسول الله الحديث ((... الله.

وهذان الصحابيان الجليلان عمُّه وابنُ عمِّه اللذان ثَبَتَا مع ولَم يفِرَّا يوم حُنين وقد عادت مصلحةُ إسلامهما في رسول الله لا يعتبرهما المالكي من الصحابة؛ ، هذه الغزوة على الرسول لأنَّ إسلامهما بعد الحُديبية، وهو يقصُر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية.

الخامس: أنَّ قولَه: ((أمَّا بعد فتح مكة فأصبح الالتحاق بالمسلمين يعني الغنيمة والسلامة؛ لكثرة المال وأمن القتل)) غيرُ صحيح؛ لأنَّ المجاهدَ في سبيل الله ليست سلامتُه من القتل مُحقَّقةً؛ فإنَّه قد يُقتل وقد يسلَم.

السادس: أمَّا ما ذكره من أنَّ أبناءَ المهاجرين لا يدخلون في المهاجرين، وأنَّ أبناءَ الأنصار لا يدخلون في الأنصار، وقد قصَر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار، فمُقتضاه أنَّ أبناء المهاجرين

والأنصار ليسوا من الصحابة، وسبق أن ذكرتُ أنَّ مَـن رأى النَّبِـيَّ من أبناء المهاجرين والأنصار فهو من الصـحابة، بخلاف مَـن لَـم يرَه منهم.

* * *

استدلالُه بآيات سورة الحشر والرد عليه:

وقال في (ص:30 ـ 31): ((الدليل الثالث: وهو مفسِّرٌ للدليل السَّابق، وهو قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ: {لِلْفُقَـرَاءِ المُهَـاجِرِينَ الَّـذِينَ أُخْرِجُوا مِـن دِيَـارِهِمْ وَأَمْـوَالِهِمْ يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِـنَ اللـه وَرِضْـوَانًا وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّـذِينَ تَبَـوَّؤُوا الـدَّارَ وَالإِيــمَانَ مِـن قَبْلِهِـمْ يُحِبُّـونَ مَـنْ هَـاجَرَ إِلَيْهِـمْ وَلاَ يَجِـدُونَ فِـي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُـؤْثِرُونَ عَلَـى أَنفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِـمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـبَقُونَا بِالإِيــمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

أقول: أيضـاً فـي هـذه الآيـة قَصَـر اللـه عـزَّ وجـلَّ الثنـاءَ علـى المهاجرين والأنصار، وأخبرنا بعلامـاتهم، ثـمَّ فصَّـل فـي الإحسـان المشتَرَط فيمَن بعدهم بأنَّه ـ إضافة لصالح الأعمال ـ من علاماته الكبرى الدعاء للسابقين من المهاجرين والأنصار، وعدم التعـرُّض لهم ببُغض أو سبٍّ.

ليس المقصود منهم إلاَّ المهاجرين **{**والَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيـمَانِ**}** والأنصـار فقـط، كمـا تـدلُّ عليـه الآيـات السـابقة دلالـة واضـحة، ويقـول البغـوي فـي تفسـير قـوله تعـالى: {وَالَّـذِينَ جَـاؤُوا مِـن بَعْـدِهِمْ} يعنـي التـابعين، وهـم الـذين يجيئـون بعـد المهـاجرين والأنصار إلى يوم القيامة. اهـ.

أقول: فهذا إقرارٌ من البغوي بأنَّ مَن بعد المهاجرين والأنصـار يُسمون (التابعين)، يعنِي أنَّ الناسَ مِن خالد بن الوليد وعمرو بن العـاص، مـروراً بمعاويـة والوليـد، وانتهـاءً بنـا فـي هـذا العصـر

مأمورون بحبِّ المهاجرين والأنصار، الذين قام عليهم الإسلام حتى استوى، ومأمورون بالدعاء لهم والاستغفار لهم؛ لأنَّهم السببُ بعد الله ورسولِه في قيام هذا الدِّين، بل مَن أسلم بعد الحُديبية إلى فتح مكة مأمورون ابتداءً، ومَن بعدهم من باب الأولى)).

وعلَّق في الحاشية عند قوله: ((الدعاء للسابقين من المهاجرين والأنصار، وعدم التعرُّض لهم ببُغض أو سبٍّ)) بقوله: ((وهذا الإحسان لَم يفعله بعضُ الطُّلَقاء كمعاوية والوليد بن عُقبة وبُسر بن أبي أرطاة والذين حاربوا السابقين كعليٍّ وعمَّار والبدريِّين والرِّضوانيِّين الذين كانوا مع علي، بالإضافة إلى سبِّهم عليًّا على المنابر، وسَنِّ هذه السنة السيِّئة، إذن فالذين طعنوا في الصحابة هم أولئك الطُّلَقاء، وهم أوَّلُ من خالف الأمر الإلَهي بالاستغفار للذين سبقونا بالإيمان!!)).

وعلَّق في الحاشية أيضاً على قوله: (({والَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ} ليس المقصود منهم إلاَّ المهاجرين والأنصار فقط، كما تدلُّ عليه الآيات السابقة دلالة واضحة)) بقوله: ((وعلى هذا فلا حُجَّة للذين يستدلُّون بهذه الآيات على وجوب السكوت عن دراسة التاريخ وذِكر الظالمين بظلمِهم والعادلين بعدلِهم؛ حتى يعرفَ الناسُ موطنَ القُدوة والتأسِّي من السلف!!)).

ويُجاب عن استدلاله بما يلي:

الأول: أنَّ الآيات الثلاث في بيان مصارف الفيء، وهي مشتملةٌ على الثناء على المهاجرين والأنصار، ولا دليل فيها على ما أراده المالكي من قَصْر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل صُلح الحُديبية.

الثاني: أنَّ الآيةَ الثالثة في الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصارمن فتح مكة وما بعده، داعين لهم لسبقهم بالإيمان، وسائلين الله عزَّ وجلَّ سلامةَ قلوبهم من الغلِّ للذين آمنوا،

وليس فيها خروجُ من أسلم بعد الحُديبية وقبل فتح مكـة ، كخالـد بن الوليد وعمرو بن العاص ونحوهما من وصْف الصُّحبة والهجرة، كما زعم المالكي.

الثالث: أنَّ ما جرى من خلاف بين بعض المهـاجرين السـابقين كعليٍّ رضي الله عنه وبين بعض مَن أسلموا عام الفتح أو قبله أو بعده لا يقتضي نَيل مَن بعدهم مِن أحدٍ منهم، بـل الـواجب مَحبَّـة الجميع والثناء عليهم والدعاء لهم وإنزالهم منـازلهم، وقـد وُعـدوا جميعاً بالحُسنى، وما كان في قلوبهم من غـلٍّ إن بقـي فـإنَّ اللـه ينزعُه كما أخبر بذلك في كتابه العزيز بقوله في سورتي الأعراف والحِجر: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ}، وما أحسن مـا قـاله شارح الطحاوية: ((والفتنُ الـتي كـانت فـي أيَّـامه ــ يعنِـي أميـرَ المؤمنين عليًّا رضي الله عنه ـ قد صان الله عنهـا أيـدينا، فنسـألُ الله أن يَصون ألسِنَتنا بِمَنِّه وكرمِه)).

قال الشوكاني عند تفسـير قـوله تعـالى: {وَالَّـذِينَ جَـاؤُوا مِـن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـبَقُونَا بِالإِيــمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} قـال بعـد أن فسَّر الذين جاؤوا من بعدهم أي بعد المهاجرين والأنصار بأنَّهم التابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، قال: ((أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سـبحانه أن ينزع من قلوبهم الغِلَّ للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلـك الصحابةُ دخولاً أوَّليًّا؛ لكـونهم أشـرفَ المـؤمنين، ولكـون السـياق فيهم، فمَن لَم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآيةِ، فإن وَجَدَ فـي قلبِـه غِلاًّ لهم فقد أصابه نَزْغٌ من الشيطان وحـلَّ بـه نصـيبٌ وافـرٌ مـن عصيان الله بعداوة أوليائه وخِيرة أمَّة نبيِّه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم، وانفتح له بابٌ من الخذلان يَفِدُ به علـى نـار جهنَّـم إن لَـم يتدارَك نفسَه باللُّجوء إلى الله سبحانه، والاسـتغاثة بـه بـأن ينـزع عن قلبه ما طَرَقَه مِن الغِـلِّ لِخَيـرِ القـرون وأشـرفِ هـذه الأمَّـة،

فإن جاوز ما يَجده من الغِلِّ إلى شَتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسَخطِه، وهذا الدَّاءُ العُضال إنَّما يُصاب به مَن ابتُلي بِمُعلِّم من الرافضة أو صاحبٍ من أعداء خير الأمَّة الذين تلاعب بهم الشيطانُ وزيَّن لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة، وصرَفَهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفه، وعن سُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كلِّ عصرٍ من العصور، فاشتروا الضَّلالةَ بالهُدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالرِّبح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلُهم من منزلة إلى منزلة، ومن رُتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداءَ كتاب الله وسُنَّة رسوله وخير أمَّته وصالِحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدِّين، وسَعوا في كيد الإسلام
وأهله كلَّ السَّعي، ورَموا الدِّينَ وأهلَه بكلِّ حَجَرٍ ومَدَر، والله من ورائهم مُحيط)). اهـ.

الرابع: أمَّا ما أشار إليه حول دراسة التاريخ، فيُجاب عنه بأنَّ دراسةَ التاريخ لها حالتان:

الأولى: دراسة مع سلامة القلوب والألسنة في حقِّ جميع أصحاب رسول الله ، تعتمد على تَمييز ما صحَّ من أخبار عنهم مِمَّا لَم يصحَّ، فيُطَّرح ما لَم يصحَّ، وما صحَّ فيُحمَلُ على أحسن المحامل، ويُحسَّن بهم الظنُّ، ويُدعى لهم ويُستغفرُ لهم، فهذه الدراسة محمودة.

والثانية: دراسةٌ خالية من سلامة القلوب والألسنة في حقِّ جميع الصحابة، تنبنِي على الغلوِّ في بعضٍ والجفاءِ في بعضٍ، وينتُج عنها إفسادُ النفوس وإيغارُ الصدور ومَلءُ القلوب بأمراض الشبُهات، وتعتمدُ على إظهار ما خبث من كلِّ ما جاء في التاريخ مِمَّا لَم يكن له خطام أو زِمام، فهذا النوع من الدراسة للتاريخ

مذموم وحرام، ودراسة المالكي من هذا النَّوع المـذموم، ويمكـن معرفةُ حقيقة ذلك بالاطِّلاع على ما نقلته من كلامه ورددتُ عليه، ولا سيَما تشكيكه في أَحقيَّة أبي بكر بالخلافـة، فقـد جـاء فيـه أنَّ عليًّا رضي الله عنه لو كان موجوداً ـ أي فـي السـقيفة ــ لَتَـمَّ لـه الأمرُ، وذلك رجمٌ بالغيب، و((لو)) تفتح عمل الشـيطان، وأيضـاً جاء فيه وصْف الطريقة التي تَمَّت بها بيعـة أبـي بكـر رضـي اللـه عنه بأنَّها تُضعف شرعيَّة البيعة، وتَجعلُهـا أشـبَه مـا تكـون بـالقهر والغلبة، وخلافةُ الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمـان وعلي رضي الله عنهم على ترتيبهم ممَّا أراده الله قَدَراً وشـرعاً، فوقوع خلافتهم على هذا الترتيب دالٌّ على تقديره ذلك، وأنَّ الله قد شاءَه فوقع، ولَم يشأْ غيرَه فلَم يقع، ما شاء الله كان ومـا لَـم يشأ لَم يكن، ويدلُّ لكونه مراداً شرعاً ما جاء في حديث العرباض فإنَّه مَن يَعِش منكم ...)) : بن سارية رضي الله عنه من قوله فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من الحـديث، رواه أبـو داود والترمـذي وابـن مـاجه، وقـال ((بعـدي الترمذي: ((حديث حسن صحيح))، ويدلُّ له أيضاً حـديثُ سـفينة خلافـةُ النبـوة)) : قال: قـال رسـول اللـه ، مولى رسول الله رواه أبـو ((ثلاثون سنة، ثمَّ يُؤتي الله المُلْكَ أو مُلْكَـه مَـن يشـاء داود (4646) وغيرُه، ونقل تصحيحَه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (460) عن تسعة من العلماء.

أمَّا الزعم بأنَّ الطريقةَ التي تَمَّت بها بيعة أبي بكر رضـي اللـه عنه تُضعفُ شرعيَّة البيعة، وتجعلها أشبهَ ما تكون بالقهر والغلبـة، فهو كلامٌ يُنادي على قائله بـأنَّه فـي وادٍ، والسُّـنةَ وأهلَهـا فـي وادٍ آخر، وسيأتي الرَّدُّ عليه عنـد ذِكـر تشـكيكه فـي أحقِّيـة أبـي بكـر بالخلافة.

ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة، فهـذه القـراءة المزعومـة مـن المـالكي في كتب العقائد قد تلقَّفها ونشرها مركزٌ للدراسات التاريخية في

دولة عربية، وقد اطَّلعتُ أخيراً على صورة منه، وهو من التعـاون على الإثم والعدوان، فإنَّ نشرَ الباطل لا حدَّ لضرَرِه، كما أنَّ نشرَ مَن دعا إلى هُدى كان له من الأجر)) :الحقِّ لا حدَّ لنفعه؛ لقوله مثل أجور مَن تبِعه، لا ينقص ذلك مـن أجـورهم شـيئاً، ومَـن دعـا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثـام مَـن تبِعَـه لا ينقـص ذلـك أخرجه مسلم فـي صـحيحه مـن حـديث أبـي ((من آثامهم شيئاً هريرة رضي الله عنه (2674).

* * *

استدلاله بآية سورة الحديد والرد عليه:

وقال في (ص:31 ـ 32):ـ ((الدليل الرابع: قوله تعالى: {وَمَـا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَللـهِ مِيـرَاثُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِـكَ أَعْظَـمُ دَرَجَـةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحُسْنَى وَالله بِمَـا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

أقول: الغريب أنَّ بعضَ الناس يستدلُّ بهذه الآية علـى أنَّ كـلَّ الصحابة في الجنَّة؛ لأنَّ الله قد وعد المتقدِّمين منهم والمتـأخرين بالجنة، ووعدُه حقٌّ لن يُخلفه!

أقول: إمَّا أن تكون هذه الآية تشمل المهاجرين والأنصار {مَـنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ}، وتفضلهم على من جاء بعـدهم إلـى فتح مكة فقط، ولا تشمل الطُّلَقاءَ ولا العُتقاء ولا غيرَهم مِمَّن لَـم يُقاتِل ولَم ينفق في هذه الفـترة؛ لأنَّ سـورةَ الحديـد نزلـت قبـل فتح مكة، وعلى هذا فلا يشملهم الثنـاء، ثـمَّ هـي مقيَّـدةٌ بالإنفـاق والقتال.

مثلما الثناء على المهاجرين والأنصار لا يشملنا، فكـذلك الثنـاء على المسلمين مـن بعـد الحُديبيـة إلـى فتـح مكـة لا يشـمل مَـن أسلم في الفتح أو بعد ذلك، وإمَّا أن تكون الآيةُ شاملةً لهؤلاء ولنا من باب الأولى، لكن هناك شرط الإحسان الذي سـبق فـي الآيـة

السابقة، بمعنى أنَّ الله وعد بالجنَّة المهـاجرين والأنصـار والـذين اتَّبعوهم بإحسان، أمَّا المتَّبعون بغير الإحسان فلا يُقال فيهم هذا.

والخلط بين الأمور هو الذي سبَّب لنا الخلل الكبير فـي الرؤيـة التعميمية التي خلطنا بها الطُّلَقاء مع السابقين، فلا بدَّ مـن وضـع الأمور في مواضِعها الصحيحة)).

ويُجاب عن ذلك بما يلي:

الأول: أنَّ للعلمـاء فـي المـراد بالفتـح فـي هـذه الآيـة قـولين، ذكرهما ابن كثير والشوكاني:

أحدهما: أنَّه فتح مكة، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنَّه صلح الحُديبية.

وعلى قول الجمهور فالآيةُ تدلُّ علـى تفضـيل القتـال والإنفـاق مِمَّن كانوا قبل فتح مكة، على القتـال والإنفـاق مِمَّـن كـانوا بعـد فتحها، وهو متَّفق مع ما جاءت به الأحاديث من اسـتمرار الهجـرة المحمود أهلها إلى فتح مكة، وهـو يـردُّ قـولَ المـالكي فـي قصْـر الصُّـحبة والهجـرة المحمـود أهلهـا علـى مَـن كـانوا قبـل صُـلح الحُديبية.

وعلى القول بأنَّ المرادَ بالفتح صلح الحُديبية فليس هناك دليل مِمَّـن كـان إسـلامُهم يَمنعُ من دخول بقيَّة أصحاب رسـول اللـه في الوعـد الكريـم الـذي وصُحبتُهم بعد الحُديبية إلى حين وفاته دلَّـت عليـه الآيـة، مـع القطـع بالتفـاوت بيـن المتقـدِّمين منهـم والمتأخرين.

الثاني: أنَّه لا وجه لاستغراب المـالكي الوعـد لجميـع الصـحابة بالحُسنى وهي الجنَّة، ومِمَّن فسَّر {الحُسْـنَى} فـي الآيـة بالجنَّـة القرطـبيُّ والشـوكاني والشـيخ عبـد الرحمـن بـن سـعدي فـي تفاسـيرهم، وقـدجاء فـي السُّـنَّة تفسـير {الحُسْـنَى} فـي قـوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} بأنَّهـا الجنَّـة، وذلـك مـن حديث صُهيب رضي الله عنه عند الإمام مسلم (297 ـ 298).

فلماذا هذا الاستغراب، وفضلُ الله واسعٌ ورحمتُه وسعت كلَّ شيء؟!

الذين هم خير وأسْعَدُ الناسِ بجنَّتِه ورحمتِه أصحابُ رسوله هذه الأمَّة، التي هي خير أمَّة أُخرجت للناس، الذين اختارهم الله لِصُحبته، ومتَّع أبصارَهم في هذه الحياة الدنيا بالنظر إلى طلعته، ونقلهما إلى الناس ومتَّع أسماعَهم بسماع القرآن والسُّنَّة منه وبين غيرهم بعدهم، وهم الواسطة بين الرسول.

* * *

استدلاله بآية سورة الأنفال والرد عليه:

وقال في (ص:33 ــ 34):ـ ((الدليل الخامس: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِن وَلاَيَتِهِم مِن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

أقول: هذه الآية من سورة الأنفال (72) فيها فوائد عظيمة:

الأولى: إثبات ولاية المهاجرين مع الأنصار فقط، وهذا ما يُفسِّرُه الحديث الشريف عن رسول الله : (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطُّلَقاء من قريش والعُتقاء من ثقيف والحديث فيه إخراج ،(بعضُهم أولياء بعض إلى يوم القيامة فقط، للطُّلقاء من المهاجرين والأنصار الذين هم أصحاب النَّبِيِّ كما في حديثٍ الآخر: (أنا وأصحابي حيِّز، والناس حيِّز)، قالها يوم الفتح، وكلمة (أصحابي) في هذا الحديث الأخير كلمة النَّبِيُّ مطلقةٌ فسَّرها الحديثُ المتقدِّم وقيَّدها بأنَّ المرادَ بها (المهاجرون والأنصار)، فتأمَّل لهذا التوافق والترابط؛ فإنَّك لن تجدَه في غير هذا المكان!

الفائدة الثانية: أنَّ الذين أسلموا ولَم يُهاجروا لا يستحقُّون مـن الولايةَ التي تعنِي النُّصرةَ والولاء، فإذا المسلمين في عهد النَّبِيِّ كان المسلمون قبل فتح مكة لا يستحقُّون النُّصرةَ ولا الولاء حتى لا) : يُهاجروا، فكيف بِمَن انتظر مـن الطُّلَقـاء حـتى قـال النَّبِـيُّ هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيَّة).

فهؤلاء لَم يُدركوا فضلَ من لا يستحقُّ النُّصرة والولايـة، فضـلاً عن إدراكهم لفضل السابقين من المهاجرين والأنصار.

الثالثة: أنَّ المسـلمين الـذين لَـم يُهـاجِروا لا يجـوز أن يُنصَـروا علـى الكفَّـار المعاهـدين الـذين معهـم ميثـاق مـع المهـاجرين والأنصار، وهذا الحكم يبيِّن الفرقَ الواسع بين مَن هاجر ومَن بقي مؤمنـاً فـي ديـاره، فكيـف بِمَـن لَـم يـؤمن إلاَّ عنـد إلغـاء الهجـرةِ الشرعية من مكة، وأسلم رغبـة فـي الـدنيا ورهبـةً مـن السـيف، حتى وإن حسُن إسلامه فيما بعد؟!!!)).

ويُجاب عن ذلك بما يلي:

الأول: أنَّ كونَ المهاجرين والأنصار بعضُهم أولياء بعض لا يـدلُّ على نفي ولايتِهم عن غيرهم مِمَّن أسلموا بعد فتـح مكـة، فالكـلُّ خيار المؤمنين، مع التفاوت الكبير بينهـم فـي الإيمـان، وقـد قـال الله عزَّ وجـلَّ: {وَالمُؤْمِنُـونَ وَالمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ}، وسيأتي لذلك زيادةُ بيان عند ذِكر حديث ((المهـاجرون والأنصـار بعضهم أولياء بعض)).

الثـاني: أنَّ حـديث ((المهـاجرون والأنصـار بعضـهم أوليـاء بعض)) صحيح، وحديث ((الحيز)) ضـعيف، وسـيأتي بيـان ذلـك عند ذِكر الحديثين.

الثالث: أنَّ ما ذكره من كون المهاجرين والأنصار هـم أصـحاب فقـط قـولٌ باطـلٌ، وقد تكرَّر منـه قصْـر الصُّـحبة علـى النَّبِـيِّ المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية، وتكرَّر منِّي التنبيه علـى بطلان قوله بسبب تكراره.

الرابع: أنَّ الطُّلقاءَ وغيرَهم قد فاتتهم الهجرة، لكـن لَـم يفُتهـم بلاءً الجهاد والنيَّة، فقد أبلـى كـثيرٌ منهـم فـي الجهـادِ مـع النَّبِـيِّ حسناً، وقوله: (إنَّ إسلامهم رغبة في الـدنيا ورهبـة مـن السـيف) هو مِن الظلم البيِّن، والظُّلمُ ظلمات يوم القيامة، لا سيما ما كان منه لأصحاب رسول الله.

ولو حصل إسلام أحد منهم من أجـل الـدنيا فـإنَّ الحالـة تتغيَّـر إلى خير؛ لقول أنس رضي الله عنه: ((إن كان الرَّجلُ لَيُسلِم مـا يريد إلاَّ الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه مـن الـدنيا وما عليها)) رواه مسلم في صحيحه (2312).

* * *

استدلاله بآية سورة الفتح والرد عليه:

وقال (ص:36 ـ 37):ـ ((الدليل الثامن: قوله تعـالى: {مُحَمَّـدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُـمْ تَرَاهُـمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِـي وُجُـوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَـزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الـزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ مِنْهُـم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}.

أقول: لولا أنَّ بعضَ الناس يورد هذه الآية للدلالـة علـى فضـل مسلمة الفتح وأمثالهم لَما أوردتُها هنـا، فالآيـة مـن سـورة الفتـح) التي نزلت قبل فتح مكة، وعلـى هـذا فالثنـاء الـذي فيهـا علـى ينـزل علـى المـؤمنين يومئـذ مـن المهـاجرين (الذين مع النَّبِيِّ والأنصار، ولا ينزل على مَن بعدهم، إضافةً إلى أنَّ المعيَّة تقتضي النُّصرةَ والتمكينَ أيَّام الحاجة والذُّلِّ والضَّعف)).

ويُجاب عن قوله هذا:

أنَّ الآيـةَ عامَّـةٌ فـي الصـحابة، وليـس فيهـا ذِكـرِ المهـاجرين والأنصـار، لكـن المـالكي قصَـرها عليهـم، حرصـاً علـى حِرمـان

مسلمة الفتح من تحصيل الفضلِ الوارد فيها، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: {مَا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا}، وكون سورة الفتح ـ ومنها هذه الآية ـ نزلت قبل فتح مكة لا يدلُّ على قصْر ما فيها على مَن كان قبل نزول الآية، بل الحكم شاملٌ لكلِّ مَن كان معه إلى نهاية حياته.

قد ذُكرت في التوارة ثمَّ إنَّ هذه الصفات للذين مع النَّبِيِّ والإنجيل، وهي لجميع الصحابة، فلا وجه لإخراج أحدٍ من أصحاب منها، وحرف (من) في قوله عزَّ وجلَّ: {وَعَدَ الله رسول الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} لبيان الجنس وليس للتبعيض، أي: كلّهم موعودون بالمغفرة والأجر العظيم، وهذا نظيرُ قول الله عزَّ وجلَّ: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فإنَّ (من) للجنس وليست للتبعيض؛ فإنَّ العذابَ حاصلٌ لهم جميعاً.

* * *

استدلالُه بحديث: ((المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض)) والرد عليه:

 قال في (ص:42 ـ 43):ـ ((الدليل الثاني عشر: قول النَّبِيِّ: المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطُّلَقاء من قريش) والعُتقاء من ثقيف بعضُهم أولياء بعض إلى يوم القيامة).

أقول: وهذا الحديث واضحٌ في أنَّ طُلَقاء قريش وعُتقاء ثقيف ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار، وعلى هذا فلا يستحقُّون الفضائلَ التي نزلت في فضل المهاجرين والأنصار، وعلى هذا لا يجوز لنا أن نخلط الأمورَ ونرفع مَن وَضعه الله أو نضع مَن رفعه الله ... !!)).

والجواب:

أنَّ الحديثَ صحيحٌ، وقد أوردتُه فيما تقدَّم في الأدلَّة الدَّالة

على استمرار الهجرةِ المحمود أهلُها إلى فتح مكة، وليس إلى صُلح الحُديبية كما زعم المالكي، وهو لا يدلُّ على أنَّ العُتقاء وإنَّما يدلُّ على ، والطُّلَقاء ليسوا من أصحاب رسول الله التَّماثل والتشابه بين المهاجرين والأنصار، وبين الطُّلَقاء والعُتقاء، وليس فيهم مَن وَضعه الله كما زعم، بل كلُّهم قد رفعهم الله مع تفاوتِهم في الرِّفعة ، لِصُحبتِهم الرسول.

وكون المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض لا يتنافى مع كون العُتقاء والطُّلَقاء بعضهم أولياء بع ض؛ فإنَّ الصحابةَ جميعاً خيار المؤمنين، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: {وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} الآية، وقد قال ابن كثير في تفسيره في ذكر تعالى أصنافَ)) :تفسير الآيات من آخر سورة الأنفال المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاؤوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالَهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار: وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانَهم المهاجرين في منازِلِهم وواسَوهم في أموالِهم، ونَصَروا الله ورسولَه بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، أي: كلٌّ منهم أحقُّ بالآخر من كلِّ أحد، ولهذا آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار، كلّ اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدَّماً على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث)).

* * *

استدلالُه بحديث: ((الناسُ حيِّز وأنا وأصحابي حيِّز)) والرد عليه:

الدليل الحادي عشر: حديث أبي)) :قال في (ص: 40 ـ 42) إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله} : لَمَّا كان يوم الفتح قرأ النَّبِيُّ) :سعيد الخدري قال: الناس حَيِّز، وأنا وأصحابي حيِّز، ،{وَالفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ فغضب مروان وأراد أن يضربَ أبا سعيد الخدري، فلمَّا رأى ذلك ذكرتُه مختصراً (رافع بنُ خديج وزيد ابنُ ثابت قالا: صدق)).

وقـد علَّـق عليـه قـائلاً: ((مسـند الإمـام أحمـد (4/45) ـ دار الفكر، الحديث رواه الإمام أحمد، عن محمد بن جعفر، ثنا شـعبة، عن عَمرو بن مُرَّة، عـن أبـي البَخـتري الطـائي، عـن أبـي سـعيد الخدري، وهذا إسنادٌ صحيح على شرط الشـيخين، فالإمـام أحمـد وشـيخه غنـدر وشـعبة مـن كبـار أئمَّـة الحـديث الثقـات الأثبـات، وعمرو بن مرَّة شيخ شعبة ثقـة عابـد مـن رجـال الجماعـة، وأبـو البختري اسمه سعيد بن فيروز وهو ثقة ثبت من رجـال الجماعـة وهو يرسل، وقد أخرج الشيخان عنعنته في صـحيحيهما، فالإسـناد من أصحِّ الأسانيد، كلُّهم رجال الجماعـة إلاَّ أحمـد بـن حنبـل وهـو ثقة إمام!!!)).

وقال: ((فهذا الحديث فيه إخراج واضحٌ للطُّلَقاء الـذين دخلـوا في الإسلام من أصحاب النَّبِيِّ بأكثر من دلالة:

الدلالة الأولى: تلاوته لسورة النصر التي فيهـا ذكـر (النـاس) الذين يدخلون فـي ديـن اللـه أفواجـاً، هـؤلاء النـاس المـراد بهـم الطُّلَقاء، ثمَّ أخبرنا النَّبِيُّ بأنَّ (الناس حَيِّز)، وهـو وأصـحابه حيِّـز آخر!! فماذا يعنِي هذا؟

هذا بكلِّ وضوح لا يعنِـي إلاَّ أنَّ هـؤلاء (النـاس) لايـدخلون فـي (الأصحاب) الذين فازوا بتلـك (الصـحبة الشـرعية) الـتي تسـتحقُّ الثناء وتتنزَّل فيها كلُّ الثنـاءات علـى الصـحابة، فـإذا سـمعنا بـأيِّ حديث يُثنِي على (أصحاب النَّبِيِّ) خاصَّـة من الصحابة أو أيِّ أثرٍ يُثنِي على (أصحاب النَّبِيِّ)، فلا تنزل تلك الأحاديث والآثار إلاَّ على هؤلاء (الأصحاب) الذين فصلهم النَّبِيُّ مـن عـن سـائر (النـاس) غيرهم، وأول الناس دخولاً في هؤلاء (الناس) هم الطُّلَقـاء الـذين أسلموا يوم فتح مكة، ولا يجوز أن نجمعَ بيـن (حيِّزيـن) قـد فـرَّق بينهما النَّبِيُّ ، ومَن تأكَّد له هذا ثمَّ أراد أن يجعل (الحيِّزين) حيِّزاً واحداً فقد اتَّهم النَّبِيَّ بعدم الإنصاف، مثلما اتَّهمه ذو الخُويصِـرة يوم حُنين!! ونعوذ بالله أن نردَّ حديثَ رسول الله أو نُؤوِّلَه على غير مراده ، ذلك المراد الذي يظهـر بوضـوح مـن لفـظ الحـديث

الصريح.

الدلالة الثانية: غضبُ مروان بن الحكم الذي أراد أن يضرب أبا سعيد الخدري على روايـة هـذا الحـديث؛ لأنَّ هـذا الحـديث يعنِـي إخراج مروان ووالـده ومعاويـة ــ الـذي يعمـل لـه مـروان ــ مـن الصحابة إلى (الناس) الذين ليس لهم ميزة عن سائر الناس!!

الدلالة الثالثة: فهمُ رافع بن خديج وزيد بـن ثـابت وأبـي سـعيد الخدري، فالثلاثة عَرفوا أنَّ هذا سيُغضب مروان، ولكنَّهم صـدَعوا بكلمة الحقِّ بعد أن كاد يُخفيها زيـد ورافـع، خوفـاً علـى نفسـيهما من مروان!!

شبهة: وقد يقول البعض أنَّهم (الناس) من الطُّلَقاء وغيرهم قد اكتسبوا الصحبة فيما بعد؟!

نقول: هم (الطُّلَقاء) والعتقاء أوليـاء بعضـهم لبعـض إلـى يـوم القيامــة، وكلا الطــائفتين لا تــدخلان لا فــي المهــاجرين ولا فــي الأنصار؛ لما سبق شرحه)).

ويُجاب عن ذلك بِما يلي:

الأول: أنَّ الحديثَ ضعيفٌ، والإسنادَ غيـرُ صـحيح فضـلاً عـن أن يكون من أصحِّ الأسـانيد كمـا زعـم المـالكي؛ للانقطـاع بيـن أبـي البَختري وبين أبي سعيد، ففي تهذيب الكمال للمزي فـي ترجمـة أبي البَختري سعيد بن فيروز: ((وقال أبوداود: لَم يسمع من أبي سعيد))، وقول أبي داود هذا هـو فـي سـننه قـال عقِـب الحـديث (رقم:1559): ((قال أبو داود: أبو البَختَـري لَـم يسـمع مـن أبـي سعيد)).

وفـي تهـذيب التهـذيب لابـن حجـر فـي ترجمـة أبـي البَخـتري: ((وقال ابن سعد: ... وكان كثيرَ الحـديث يرسـل حـديثَه، ويـروي عن الصحابة ولَم يسمع من كثير أحد، فما كان من حديثه سَـماعاً فهو حسن، وما كان غيره فهو ضعيف، وقال ابـن أبـي حـاتم فـي المراسيل عن أبيه: لَم يُدرك أبا

ذر ولا أبا سعيد ولا زيد بن ثابت ولا رافع بن خديج، وهو عن عائشة مرسل)).

الثاني: أنَّ ما ذكره من إخراج الشيخين عنعنة أبي البَختري في صحيحيهما غيرُ مُسلَّم؛ لأنَّهما لَم يُخرجَا له عن أبي سعيد شيئاً، وكلُّ الذي له في الكتب الستة من روايته عن أبي سعيد ثلاثة أحاديث، خرَّجها بعضُ أصحاب السنن، كما في تحفة الأشراف للمزي (3/356 ـ 357)، ولو صحَّ أنَّ الشيخين خرَّجَا له من روايته عن أبي سعيد بالعنعنة فإنَّ قبول ذلك يكون مُختَصًّا بما في الصحيحين لاشتراطهما الصِّحةَ فيهما، ولا تُقبل العنعنة في غيرهما إلاَّ مع ثبوت التصريح بالسماع، قال النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم (1/33): ((واعلم أنَّ ما كان في الصحيحين عن المدلسين بـ (عن) ونحوها فمحمول على ثبوت السماع من جهة أخرى، وقد جاء كثيرٌ منه في الصحيح بالطريقين جميعاً، فيذكر رواية المدلس بـ (عن) ثمَّ يذكرها بالسماع ويقصد به هذا المعنى)).

الثالث: وقوله عن رجال الإسناد: ((كلُّهم رجال الجماعة إلاَّ أحمد بن حنبل وهو ثقة إمام))، أقول: لا وجه لاستثناء الإمام أحمد؛ فإنَّه من رجال الجماعة.

الرابع: أنَّه لو صحَّ الحديث فإنَّه حجَّةٌ على المالكي؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّ المهاجرين بعد الحُديبية وقبل الفتح من أصحاب النَّبِيِّ ، وهو خلاف ما زعمه في رأيه المبتَكر من أنَّ الصُّحبةَ المحمود أهلها مختصَّةٌ بالمهاجرين قبل صلح الحُديبية.

* * *

تشكيكه في أفضلية أبي بكر رضي الله عنه على غيرِه والرد عليه:

قال في (ص:52): ((الدليل العشرون: قول إبراهيم النخعي: مَن فضَّل عليًّا على أبي بكر وعمر فقد أَزْرَى على أصحاب)

فضائل الصحابة لأحمد ((... المهاجرين والأنصار رسول الله 1/249)، وسنده جيِّد، رجاله كلُّهم ثقات إلاَّ الوليد بن بكير مختلَف فيه.

وفي الأثر تفسير من إبراهيم النخعي للصحابة بأنَّه (كذا) المهاجرون والأنصار فقط، فتأمَّل!!

وإبراهيم هذا من كبار التابعين، مع التحفُّظ على تشنيعه على مَن فضَّل عليًّا عليهما؛ فإنَّ هذا قد فعله بعضُ السابقين من المهاجرين والأنصار، كما ذكر ذلك ابنُ عبد البر في ترجمة الإمام عليٍّ في الاستيعاب، ودلَّت عليه بعضُ الروايات)).

والجواب عنه بما يلي:

الأول: أمَّا قوله عن إسناد الأثر: ((وسنده جيِّد، رجاله ثقات إلاَّ الوليد بن بُكير مختلف فيه))، فهو غير جيِّد؛ لأنَّ الوليد بنَ بكير قال عنه الدارقطني: ((متروك الحديث))، وقال عنه أبو حاتم: ((شيخ))، وذكره ابن حبان في الثقات، كما في تهذيب الكمال للمزي وتهذيبه لابن حجر، وقال الحافظ في التقريب: ((ليِّن))، وقال الذهبي في الميزان: ((ما رأيت من وثَّقه غير ابن حبان))، وابن حبان معروف بالتساهل في التوثيق، قال الحافظ في التقريب في ترجمة عبد السلام بن أبي الجَنوب: ((ضعيف، لا يُغترُّ بذِكر ابن حبان له في الثقات؛ فإنَّه ذكره في الضعفاء أيضاً)).

وأمَّا معنى الأثر فهو صحيح.

الثاني: وأمَّا استدلاله بالأثر على قَصْر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار دون غيرهم، فهو غير صحيح؛ وذِكر المهاجرين والأنصار في الأثر لا يدلُّ على إخراج غيرِهم من الصُّحبة؛ وإنَّما ذُكروا وكلُّ مَن رأى ، لأنَّهم مقدَّمون على غيرِهم من أصحاب النَّبِيِّ فهو من أصحابه، مع الجزم بتفاوت الصحابة في الصُّحبة النَّبِيَّ والفضل.

الثـالث: وأمَّـا تحفُّظـه علـى مـا جـاء فـي الأثـر مـن تفضـيل الشيخين على عليٍّ رضي الله عن الجميع، فهو مخالِف لِما عليــه سلفُ هذه الأمَّة، ودلَّت عليه الأحاديثُ الصحيحةُ والآثار عن بعض الصحابة وغيرِهم، ومنهم علي رضي الله عنـه، وأذكـر فيمـا يلـي بعـضَ الأدلَّـة الدَّالَّـة علـى ذلـك مِمَّـا وقفـتُ عليـه مـن الأحـاديث المرفوعة والآثـار عـن الصحابة، وحكاية الإجمـاع عـن عـدد مـن العلماء:

أوَّلاً: الأحاديث المرفوعة:

1 ـ ما رواه مسلم في صحيحه (532) عن جندب بن عبد الله البَجلي رضي الله عنه أنَّه قـال: سـمعتُ النَّبِـيَّ قبـل أن يَمـوت بخمس وهو يقول:

((إنِّي أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإنَّ الله تعالى قد اتَّخذني خليلاً كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنـتُ متَّخـذاً مِـن أمَّتِـي خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً)) الحديث.

فقد أخبر النَّبِيُّ وهــو عن أمرٍ لا يكون أن لو كان كيف يكون، دالٌّ على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على الصحابة جميعاً.

2 ـ ما رواه البخاري (3662) ومسلم (2384) في صحيحيهما عن عَمرو بن العاص رضي الله عنــه: ((أنَّ النَّبِـيَّ بعثـه علـى جيش ذات السلاسل، فأتيتُه، فقلت: أي الناس أحبُّ إليك؟ قــال: عائشة، فقلت: من الرِّجال؟ قال: أبوها، قلتُ: ثمَّ مَن؟ قال: عمر بن الخطَّاب، فعدَّ رجالاً)).

3 ـ روى الترمذي في جامعه (3890) قـال: حـدَّثنا أحمـد بـن عَبْدة الضبِّي، حدَّثنا المعتمر بـن سـليمان، عـن حميـد، عـن أنـس قال: ((قيل: يا رسول الله! مَن أحبُّ الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: مِن الرِّجال؟ قال: أبوها))، وهو حديث صحيح، رجاله رجـال الشيخين إلاَّ أحمد بن عبدة الضبِّي فهو من رجال مسلم.

ثانياً: الآثـار الموقوفـة علـى الصـحابة، ومنهـم علـي

رضي الله عنه:

1 ـ روى البخاري في صحيحه (3671) بإسناده عن محمد بن الحنفية ـ وهو محمد بن علي بن أبي طالب ـ قال: قلتُ لأبي: ((أيُّ الناس خير بعد رسول الله ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ من؟ قال: عمر، وخشيتُ أن يقول: عثمان، قلت: ثمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلاَّ رجلٌ من المسلمين)).

2 ـ روى الإمام أحمد في مسنده (835 ــ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد) قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا منصور بن
عبد الرحمن يعنِي الغُداني الأشل، عن الشعبي، حدَّثني أبو جُحيفة الذي كان عليٌّ يُسمِّيه: وهْب الخير، قال: قال لي عليٌّ: ((يا أبا جُحيفة! ألا أُخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيِّها؟ قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرى أنَّ أحداً أفضل منه، قال: أفضلُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وبعدهما آخر ثالث، ولم يُسمِّه))، وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين إلاَّ منصور بن عبد الرحمن فهو من رجال مسلم، وأثر علي هذا عن أبي جُحيفة جاء في مسند الإمام أحمد وزوائده لابنه عبد الله من طرق صحيحة أو حسنة، وأرقامها من (833) إلى (837) و(871).

3 ـ روى الإمام أحمد في فضائل الصحابة (484): قَثَنَا الهيثم بن خارجة والحكم بن موسى قالا: نا شهاب بن خراش، قال: حدَّثني الحجاج ابن دينار، عن أبي مَعشر، عن إبراهيم النخعي، ضرب علقمة بنُ قيس هذا المنبر، فقال: خطبنا عليٌّ)) :قال على هذا المنبر، فحمِد الله وذكره ما شاء الله أن يذكرَه، ثمَّ قال: ألا إنَّه بلغنِي أنَّ أناساً يفضِّلونِي على أبي بكر وعمر، ولو كنتُ تقدَّمت في ذلك لعاقبتُ، ولكنِّي أكرَه العقوبةَ قبل التقدُّم، فمَن قال شيئاً من ذلك فهو مفْتَرٍ، عليه ما على المفتري، إنَّ

أبو بكر ثمَّ عمر خيرَ الناس بعد رسول الله ...)).

وهذا إسنادٌ حسن، وأبو مَعشر هو زياد بن كُليب، وهو ثقة.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (993)، وقال الألباني: ((إسناده حسن)).

في زوائد فضائل الصحابة (49) عن عبد الله بن أحمد بإسنادٍ فيه ضعف إلى الحَكَم بن جَحْل قال: سمعتُ عليًّا يقول: ((لا يفضلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلاَّ جلدته حدَّ المفتري)).

وهو أيضاً كذلك في السنة لابن أبي عاصم (1219)، وهو قريبٌ في المعنى من الذي قبله عن علقمة.

وقد أشار إبراهيم النَّخعي إلى هذه العقوبة من عليٍّ لِمَن يفضِّله على الشيخين بقوله لرجلٍ قال له: ((عليٌّ أحبُّ إليَّ من أبي بكرٍ وعمر، فقال له إبراهيم: أما إنَّ علياًّ لو سَمع كلامَك لأَوْجَع ظَهْرَك، إذا تجالسوننا بهذا فلا تجالسونا)) رواه عنه ابن سعد في الطبقات (6/275) بإسناده إليه عن أحمد بن يونس عن أبي الأحوص ومُفضَّل بن مُهَلْهَل عن مغيرة عنه، ورجالُه ثقاتٌ محتجٌّ بهم، وهم من رجال الصحيحين، إلاَّ المفضل بن مهلهل فهو من رجال مسلم، وفيه عنعنة المغيرة عن إبراهيم، وهو مدلِّس.

4 ـ روى ابن ماجه في سننه (106) قال: حدَّثنا علي بن محمد، ثنا وكيع، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلِمة قال: سمعتُ علياًّ يقول: ((خيرُ الناس بعد رسول الله أبو بكر، وخير الناس بعد أبي بكر عمر)).

ورجاله محتجٌّ بهم، ثلاثة منهم من رجال البخاري ومسلم، وصححه الألباني.

5 ـ روى البخاري في صحيحه (3655) بإسناده إلى عبد الله بن عمر أنَّه قال: ((كنَّا نُخيِّر بين الناس في زمن النَّبِيِّ ، فنخيِّر

)) أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان بن عفّان، رضي الله عنهم.

ثالثاً: حكايةُ الإجماع:

قد جاء حكايةُ الإجماع أو ما يـدلُّ عليـه فـي تفضـيل أبـي بكـر وعمر على غيرِهما من الصحابة عن جماعةٍ من العلماء، منهم:

1 ـ يحيى بن سعيد الأنصـاري (144هــ) ذكـره اللاّلكـائي فـي شرح أصول الاعتقاد (2608 و2609).

2 ـ سفيان بن سعيد الثوري (161هـ)، ذكره ابـن أبـي زمنيـن في كتابه أصول السنة (194).

3 ـ شريك بن عبد الله النخعي الكوفي (177هــ)، ذكـره ابـن أبي زمنين في كتابه السابق (194).

4 ـ عبد الله بن المبارك (181هـ)، ذكره ابن أبـي زمنيـن فـي كتابه السابق (197).

5 ـ محمد بن إدريس الشافعي (204هـ)، ذكـره الـبيهقي فـي الاعتقاد (ص:192).

6 ـ يوسف بن عدي (232هـ)، ذكره ابن أبي زمنين في كتـابه السابق (196).

7 و8 ـ أبوزرعة (264هـ) وأبو حاتم (277هـ) الرازيان، ذكـره عنهمـا اللاّلكـائي فـي كتـابه شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعة (321).

9 ـ النـووي (676هــ)، ذكـره فـي شـرحه علـى مسـلم (15/148).

10 ـ ابن تيمية (728هـ)، ذكره في الوصية الكبرى (ص:59 و 60)، وفي منهاج السنة (8/413).

11 ـ الذهبي (748هـ)، ذكره في كتاب الكبائر (ص:236).

وأمَّا ما عزاه إلى كتاب الاستيعاب لابن عبـد الـبر مـن تفضـيل عددٍ من الصحابة عليًّا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهـم، فلَـم

أقف على أسانيد عنهم بذلك، ولو ثبت شيءٌ من هذا فهو محمولٌ على مثل ما حصل لأبي جُحيفة رضي الله عنه قبل أن يَسمع من عليٍّ تفضيل أبي بكر وعمر عليه، حيث قال: ((ولم أكن أرى أنَّ أحداً أفضل منه))، وقد مرَّ قريباً.

وأيضاً لو ثبت النقلُ عنهم فإنَّه لا يُقاوم ما ثبت في الأحاديث والآثار الموقوفة على الصحابة، ومنهم المرفوعة إلى النَّبِيِّ عليّ رضي الله عنه، وهو مخالِف لِما نُقل من الإجماع في تفضيل الشيخين على عليٍّ رضي الله عن الجميع.

وأمَّا ما زعمه من دلالة بعض الروايات على تفضيل عليٍّ رضي الله عنه على غيره فلَم يُبيِّن شيئاً من هذه الروايات، ولعلَّه يعنِي قال لعليٍّ حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ رضي الله عنه: ((أمَا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بعدي))، وقد أشار إليه في كلامه الذي شكَّك فيه بأحقِّية أبي بكر بالخلافة، وسيأتي ذكرُه قريباً والجواب عنه، وهو يدلُّ على فضل عليٍّ رضي الله عنه، ولا يدلُّ على أفضليَّته على الخلفاء الثلاثة الذين قبله، رضي الله عن الجميع.

ومِمَّا تقدَّم من الأحاديث والآثار وحكايات الإجماع اتَّضح أنَّ الحقَّ هو تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على غيره من الصحابة، ومن العجب أن يُشكِّك المالكي في أفضليَّة أبي بكر على غيره، مع أنَّ تفضيلَه على سائر الصحابة دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة وحكاية الإجماع من عددٍ من العلماء، بل قد ثبت عن عليٍّ رضي الله عنه من رواية أربعة من التابعين أنَّ عليًّا رضي الله عنه يُفضِّلُ أبا بكر عليه، وواحد منها في صحيح البخاري، وفي بعضها تفضيله ـ أي علي ـ عمرَ عليه، بل لقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصيَّة الكبرى (ص:59 ــ 60): ((وقد اتَّفق أهلُ السنَّة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب رضي الله عنه أنَّه قال: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثمَّ عمر، رضي الله عنهما)).

وفي ترجمة عبد الرزاق بن همام في تهذيب الكمال للمزي قال أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري: سمعتُ عبد الرزاق يقول: ((أفضِّل الشيخين بتفضيل عليٍّ إيَّاهما على نفسه، ولو لَم يُفضِّلهما ما فضَّلتُهما، كفى بي إزراءً أن أحبَّ عليًّا ثمَّ أخالف قولَه)).

وفي زوائد فضائل الصحابة (126) عن عبد الله بن أحمد: قثنا سلمة ابن شَبيب أبو عبد الرحمن النيسابوري، قال: سمعتُ عبد الرزاق يقول:
((والله! ما انشرح صدري قطُّ أن أُفضِّل عليًّا على أبي بكر وعمر، ورحمة الله على أبي بكر وعمر، ورحمة الله على عثمان، ورحمة الله على عليٍّ، ومَن لَم يحبَّهم فما هو بمؤمن، وإنَّ أوثقَ أعمالِنا حبُّنا إيَّاهم أجمعين، رضي الله عنهم أجمعين، ولا جعل لأحد منهم في أعناقنا تَبِعة، وحَشَرنا في زُمْرَتهم ومعهم، آمين رب العالمين!))، وسلمة بن شبيب ثقة من رجال مسلم.

* * *

تشكيكه في أَحقِّية أبي بكر بالخلافة بعد وفاة رسول الله والرد عليه:

جاء في قراءته (ص:28) عنوان بلفظ: ((الاختلاف يوم السقيفة وموقف المسلمين منها وآثارها الفكرية))، أورد تحته كلاماً ينتهي في (ص:34) اشتمل على تشكيك في أحقية أبي بكر وأولويَّته بالخلافة، وأنا أورد هنا بعضَ المقاطع المشتملة على جُمل من هذا التشكيك:

1 فعند علم الأنصار بوفاة النَّبِيِّ)) :ـ ففي (ص:29) قال اجتمعوا في سقيفة بَنِي ساعدة يريدون تولية سعد بن عبادة رضي الله عنه على المسلمين؛ بحجَّة أنَّ الأنصارَ هم أهلُ المدينة

مـن مكـة، وأنَّ عاصـمة الإسـلام، وأنَّ قريشـاً أخرجـت النَّبِـيَّ ودعوتَه، ولقوا في ذلـك الشـدائد، الأنصارَ هم الذين حَموا النَّبِيَّ وأنَّ المهاجرين ليسوا إلاَّ ضيوفاً عليهم فـي المدينـة، وعلـى هـذا فصاحب الدار أولَى بالتصرُّف في داره من الضيف)).

2 ـ وقال في (ص:30 ـ حاشية): ((بعضُهم يرى أنَّه ليس كلُّ من بايع أبا بكر الصديق يراه أَوْلَى مِن غيره! وإنَّما بايَعه لأنَّه يراه مـن الأكفـاء للخلافـة، ولخشـيته مـن الفتنـة ورضـاه بـالأمر الواقع!! ...)).

3 ـ وقال في (ص:30 ـ 32):ـ ((وكان هناك قسـمٌ آخـر مـن كبار المهاجرين لَم يُبايعوا أبا بكـر، وعلـى رأسـهم علـي بـن أبـي وزوج ابنته فاطمة الزهراء، طالب رضي الله عنه ابن عمِّ النَّبِيِّ وكان معه بنو هاشم قاطبة، كالحسن والحسين وعمِّه العباس بن عبد المطلب وأبنائه عبد الله بـن العبـاس والفضـل بـن العبـاس، وكوكبة من كبـار المهـاجرين الأوَّليـن كعمـار بـن ياسـر وسَـلمان الفارسي وأبو (كذا) ذر الغِفاري والمقداد بن عمرو وغيرهم، كمـا كان معهم بعضُ الأنصار كأُبَيِّ بن كعب والـبراء بـن عـازب وجـابر بن عبد الله، وغيرهم من عمـوم الصـحابة الـذين كـانوا يـرون أنَّ عليَّ ابنَ أبي طالب كان أكفـأ النـاس لتـولِّي الأمـر بعـد النَّبِـيِّ ! كمنزلـة) لكونه أوَّلَ مَن أسلم، ولكونه بمنزلة كبيرة مـن النَّبِـيِّ وكـان مـن علمـاء الصـحابة ،(هارون من موسى باسـتثناء النبـوة وشجعانهم وزهادهم، ومن العشرة المبشَّـرين بالجنـة، مـع نسـبه نسباً وصِهراً ونشأة وسكناً، فكان هـذا الشريف وقربه من النَّبِيِّ القسم من المهاجرين ومعهم بعض الأنصار يرون أنَّ عليَّ بن أبي بل تبيَّن أنَّ !!طالب هو أنسبُ الصحابة لتولِّي الخلافة بعد النَّبِيِّ معظمَ الأنصار كانوا يَميلون مع علـيٍّ أكـثرَ مـن ميلِهـم مـع (أبـي بكر!!)؛ لعلمِهم بـأنَّ عليًّـا وإن كـان قرشـيًّا لكنَّـه لـن يـؤْثرعليهم قريشاً، لكن السبب في بيعتهم أبا بكر وتركهـم عليًّـا أنَّ عليًّـا لَـم يكن موجوداً في السقيفة أثناء المجادلة والمنـاظرة مـع الأنصـار،

وربَّما لو كان موجوداً لَتَمَّ له الأمر!! لأنَّ بعضَ الأنصار لَمَّا رأوا أنَّ الأمـر سينصـرفُ عـن سـعد بـن عبـادة هتفـوا باسـم علـيٍّ فـي السـقيفة!! والأنصـار كـانوا أغلبيـةً فـي المدينـة، لكـن عليًّـا كـان من غسـله وتكفينـه والإقامـة علـى إتمـام ، مشغولاً بِجَهاز النَّبِيِّ ذلك، فهو إمَّا أنَّه لَم يعلم بهذا الاجتماع المفاجئ في السقيفة، أو أنَّه يرى أنَّه ليس من المناسب أن يترك الجسدَ الشريف ويـذهب فـآثر !! إلى السقيفة يتنازع مع الناس في أحقيته بخلافة النَّبِـيِّ البقاءَ مع الجسد الشريف غسلاً وتكفيناً مع الصلاة عليه، ثمَّ دفنـه ، وهذا استغرق يومين من موته .

وهــذا ، وكانت البيعة العامة لأبي بكر قد تَمَّت قبل دفن النَّبِيِّ كان له أثرٌ نفسي على علي بن أبي طـالب ومـن مَعـه مِـن أهـل البيت، كفاطمة الزهراء، ومن معه من المهاجرين والأنصـار، فقـد كان هؤلاء يَرون أنَّ أصحابَ السقيفة لَم يُراعوا مكانتهم، وقطعوا الأمور دون مشورتِهم، وكانوا يفضِّلون أن يتأنَّى الناس حـتى يتِـمَّ ثمَّ يتشاور الناسُ ويوَلُّون مَن يرونه أهلاً للخلافة، أمَّا دفنُ النَّبِيِّ أن يتِمَّ الأمر في وسط النزاع المحتدم بين المهـاجرين والأنصـار، ثمَّ بين الأوس والخزرج من الأنصار، فهذا يُضعف عنـدهم شـرعيَّة البيعة!! ويجعلها أشبه ما تكـون بـالقهر والغلبـة الـتي تتنـافى مـع الشورى المأموربها شرعا {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} !!)).

4 ـ وقال عن الاختلاف الـذي جـرى فـي السـقيفة (ص:29 ــ حاشية): ((ويرى البعـضُ أنَّ هنـاك أسـباباً قبليَّـة وتعصـب (كـذا) لفئات وأشخاص، وليس اختلافهم لمصلحة الإسلام!! ورغـم عـدم تسليمنا بل وإنكارنا لهذا القول إلاَّ أنَّه ليس هناك دليلٌ شرعي ولا عقلي يمنع من هذا!! فالصحابة يعتريهم ما يعـتري سـائرَ البشـر!)).

5 ـ وقال في (ص:31 ـ حاشية): ((سببُ ميل الأنصـار لعلـيٍّ أكثرمن ميلهم لأبي بكر وعمر أنَّ عليًّا كان أكثر فتكاً في مشركي

قريش؛ إذ قتل من قريش في بدر وحدها نحو خمسة عشر رجلاً، وأوصلهم بعض المؤرِّخين ـ كالواقدي ـ إلى ثلاثة وعشرين رجلاً، فكان الأنصارُ يرون أنَّ عليًّا كان صارماً في موضوع قريش، وأنَّه سيكبحُ جِماحَ قريش (وخاصة الطُّلَقاء منهم، وكان الطُّلَقاء يُمثِّلون أغلب قريش)، وأنَّه لن يصيب الأنصارَ من قريش أذى أو أثرة إذا كان علي هو الخليفة؛ لأنَّ قريشاً تُبغض عليًّا لكثرة نكايته في بيوتاتهم، بعكس أبي بكر وعمر وعثمان؛ إذ لَم يثبت أنَّهم قتلوا من قريش أحداً باستثناء رجل واحد قتله عمرُ بنُ الخطاب يوم بدر، أما علي فقتل منهم العشرات في بدر وأُحُد والخندق ويوم الفتح، وهي المعارك المشهورة مع قريش ...

وقد كان بين علي والأنصار مَحبَّة عظيمة، وكان عليٌّ على علاقة كبيرة بهم، وولَّى جَمعاً من فضلائهم أيَّام خلافته))، فذكر سبعاً منهم ثمَّ قال: ((بينما لَم يجد الأنصارُ فرصتَهم في عهد أبي بكر وعمر وعثمان؛ إذ كانت الولايات في أيدي القرشيِّين في الغالب (وهذا أمرٌ يدعو للدراسة لمعرفة الأسباب!!)، ومن الاتفاقات الجديرة بالذِّكر هنا أنَّه ورد في الأنصار حديثاً (كذا): (لا يحب الأنصارَ إلاَّ مؤمن، ولا يُبغضهم إلاَّ منافق)، وورد الحديث نفسه في علي: (لا يحب عليًّا إلاَّ مؤمن، ولا يُبغضه إلاَّ منافق)، الحديثان في مسلم، وبوَّب مسلمٌ لهذا باباً بعنوان (باب حب علي والأنصار من الإيمان)، فسبحان الله!!)).

6 أسلم يوم مكة ألفان من)) :ـ وقال في (ص:33 ـ حاشية) قريش وسُمُّوا الطُّلَقاء، فلعله لهذا السبب كان الأنصار يَخشون إذا ذهبت الخلافة لقريش أن تصل إلى هؤلاء الطُّلَقاء، وقد حصل هذا بعد ثلاثين سنة، إذ تولَّى الأمر معاوية بن أبي سفيان وهو من الطُّلَقاء، وقد وجد الأنصار في عهده الأثرة الشديدة التي أخبرهم بها النَّبِيُّ !!!)).

وبعد إيراد هذه المقاطع من كلامه المشتملة على

جُمل من التشكيك فـي أحقيـة أبـي بكـر بالخلافـة بعـد رسول الله ، أجيب عن ذلك من جهتين:

الأولى: التنبيه على بعض ما أورده.

الثانية: في بيان الأدلة الدَّالة على أحقِّيَّة أبي بكر بالخلافة بعد رسول الله .

أما الجهة الأولى، فأقول: إنَّ مَن يرى أو يسمع مثلَ هذا الكلام الذي سطَّره المالكي لا يَشُمُّ منه رائحة السـنَّة ولا رائحـةَ أهلهـا، بـل يتبـادر إلـى ذهنـه أنَّ بيـن يـديه كتابـاً مـن كتـب أهـل البـدع والضلال.

وإنَّ مجرَّدَ قراءة مثل هذا الكلام أو سماعه وتصوُّره يُغنِي عــن الاشتغال بالتعليق عليه، لكنِّي أنبِّه على أمور ثلاثة:

أوَّلاً: ما أشار إليه في المقطع رقم (3) من أوْلَوِيَّة علي رضــي الله عنه بالخلافة؛ لكونه بمنزلة كبيرة من النَّبِيِّ كمنزلة هــارون من موسى باستثناء النبوة، فيُجاب بأنَّ بعضَ أهل الأهـواء والبـدع يتشبَّثون بأوْلوية علي بن أبي طالب بالخلافة بالحديث الوارد فـي ذلك، وهو حديث ثابتٌ في الصحيحين عـن سـعد بـن أبـي وقَّـاص رضي الله عنه، ولفظه عند البخاري (4416): ((أنَّ رسول الله خرج إلى تبـوك، واسـتخلف عليًّـا، فقـال: أَتُخلِّفنِـي فـي الصـبيان والنسـاء؟ قـال: ألا ترضـى أن تكـون منِّـي بمنزلـة هـارون مـن موسى، إلاَّ أنَّه ليس نبيٌّ بعدي؟ !)).

إنَّما قال ذلك تطييبـاً لنفـس علـيٍّ رضي الله عنه وهو لا يدلُّ لهم؛ لأنَّ النَّبِيَّ لَمَّا قال له: أَتُخلِّفنِي في الصبيان والنسـاء؟ وهـذا الاستخلاف إنَّمـا هـو مـدَّة سـفره إلـى تبـوك، كمـا أنَّ اسـتخلاف موسى لهارون كـان مـدَّة ذهـابه لمناجـاة اللـه، فهـذا هـو المـراد لعليٍّ مدَّة غيبته، والمشبَّه به بالتشبيه، فالمشبَّه استخلافه النَّبِيّ اسـتخلاف موسـى لهـارون مـدَّة غيبتـه، إلاَّ أنَّ المشـبَّه بـه نبِـيٌّ فإنَّه استخلف نبيًّا لوجود الأنبياء في زمن واحد، وأمَّا نبيُّنا محمد

لانبِيَّ بعده، لا في زمانه ولا بعد زمانه.

 وليس فيه دلالة على أحقِّيَّة علي بالخلافة بعد رسول الله.

ثانياً: ما أشار إليه في المقطع رقم (5) من أوْلوية عليّ رضي الله عنه بالخلافة لكونه قد أكثر القتل في كفار قريش، أقول إنَّ كثرةَ القتل لا تعتبر دليلاً على الأولوية، ومن المعلوم أنَّ بعض من تأخَّر إسلامُهم كانت نكايتُهم بالعدوِّ أشدَّ مِمَّن هو أفضل منهم مِمَّن تقدَّم إسلامُهم، وإنَّما التفضيل والتقديم في الخلافة يُعوَّل فيه على الأدلَّة، وسبق ذكرُ الأدلَّة الدالَّة على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على غيره، وسيأتي بعد قليل ذكر الأدلّة الدالَّة على تقديمه في الخلافة على غيره.

ثالثاً: ما أشار إليه في المقطع رقم (5) من ورود حديثين في صحيح مسلم، أحدهما في الأنصار، والثاني في عليٍّ، يدلاَّن على أنَّه لا يحبُّهم إلاَّ مؤمنٌ ولا يبغضهم إلاَّ منافقٌ، أقول: إنَّ الحديثَ في الأنصار جاء في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، ولفظه: ((الأنصار لا يحبُّهم إلاَّ مؤمنٌ ولا يبغضهم إلاَّ منافقٌ، فمَن أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)) رواه البخاري (3783) ومسلم (129)، وأيضاً من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه:((آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النِّفاق بغضُ الأنصار)) رواه البخاري (3784) ومسلم (128).

والذي)) :وفي صحيح مسلم (131) عن زرٍّ قال: قال عليّ إليَّ: ألاَّ يُحبَّني إلاَّ مؤمن، فَلَقَ الحَبَّة وَبَرَأَ النَّسَمَة إنَّه لعهدُ النَّبيِّ ((ولا يبغضني إلاَّ منافقٌ)).

لإظهار دينه، وبغضُ المنافقين للأنصار إنَّما هو لنُصرتهم النَّبيَّ وهذا المعنى لا يختصُّ به الأنصار؛ فإنَّ المهاجرين هم أيضاً أنصارٌ، وقد جَمعوا بين الهجرة والنُّصرة، ولهذا كانوا أفضلَ من الأنصار، وقد وصفهم الله بهذين الوصفين في قوله: {لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، قال الحافظ في

فلهـذا جـاء ...)) :الفتح (1/63) في شرح حديث حبّ الأنصـار التحذيرُ مـن بغضـهم والـترغيب فـي حبهـم حتَّـى جعـل ذلـك آيـةَ الإيمان والنفاق؛ تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كريـم فعلهـم، وإن كان مَن شاركهم في معنى ذلـك مشـاركاً لهـم فـي الفضـل المذكور كلٌّ بقسطه، وقد ثبت فـي صـحيح مسـلم عـن علـيّ أنَّ قال له: (لا يُحبُّكَ إلاَّ مؤمن، ولا يبغضكَ إلاَّ منـافقٌ)، وهـذا النَّبيَّ جارٍ باطّرادٍ في أعيان الصحابة؛ لتحقق مشترك الإكرام؛ لِمَا لهـم مِن حسن الغناء في الدِّين، قال صـاحب المفهـم: وأمَّـا الحـروب الواقعة بينهم فإن وقع من بعضهم بغـضٌ لبعـضٍ فـذاك مـن غيـر هـذه الجهـة (يعنـي النصـرة)، بـل للأمـر الطـارئ الـذي اقتضـى المخالفة، ولذلك لَم يحكم بعضهم على بعضٍ بالنفاق، وإنَّمـا كـان حالُهم في ذاك حالَ المجتهـدين فـي الأحكـام، للمصـيب أجـران، وللمخطئ أجرٌ واحد، والله أعلم)).

وكتاب المفهم هو شرحٌ لصحيح مسـلم، وصـاحبُه أبـو العبـاس أحمد بن عمر القرطبي، وهو شيخ لأبي عبد الله محمد بـن أحمـد بن أبي بكر القرطبي المفسر.

وأمّا ما ذكره المالكي مِـن أنَّ مسـلماً بـوَّب لهـذا بابـاً بعنـوان ((باب حبُّ عليٍّ والأنصار من الإيمـان))، فـإنَّ مسـلماً ــ رحمـه الله ـ لَم يضع في صحيحه أبواباً، وهو في حكم المبـوَّب، وتراجـم الأبواب إنَّما هي من عمل غيره، قال النووي فـي مقدمـة شـرحه لصحيح مسلم (1/21): ((وقد ترجم جماعةٌ أبوابَه بتراجم بعضُها جيِّدٌ وبعضُها ليـس بجيِّـد، إمَّـا لقصـور فـي عبـارة الترجمـة، وإمَّـا لركاكةِ لفظها، وإمَّـا لغيـر ذلـك، وأنـا إن شـاء اللـه أحـرصُ علـى التعبير عنها بعبارات تليقُ بها في مواطنها، والله أعلم)).

وأما الجهة الثانية فهي في بيان الأدلَّة الدالَّة علـى أحقِّيَّـة أبـي بكر بالخلافة بعد رسول الله ، وأذكر هنـا بعـضَ مـا وقفـتُ عليـه من الأحاديث والآثار وحكاية الإجماع.

أوَّلاً: الأحاديث والآثار:

1 ـ روى البخاري (5666)، ومسلم (2387) في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((قال لي في مرضِه: ادْعِي لي أبا بكر وأخاكِ حتى أكتب ، فإنِّي أخاف أن يتمنّى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر)).

2 ـ روى البخاري (7220)، ومسلم (2386) في صحيحيهما، واللفظ للبخاري عن جُبير بن مُطْعم قال: ((أتت النَّبيَّ امرأةٌ ، فكلَّمتْه في شيءٍ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله! أرأيتَ إن جئتُ ولَم أجدْك، كأنَّها تريد الموت؟ قال: إن لَم تجديني فأتِي أبا بكر)).

3 ـ روى البخاري في صحيحه (678) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((مرض النَّبيُّ فاشتدَّ مرضُه، فقال: مُروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس)) الحديث، وقد أخرجه مسلم (420) في صحيحه.

وجاء أمره أبا بكر ليصلي بالناس من حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري (679) ومسلم (418).

وقد فهم الصحابةُ رضي الله عنهم من تقديم أبي بكر رضي الله عنه في الإمامة في الصلاة أنَّه الأحقُّ بالخلافة، فروى ابن سعد في الطبقات (3/178 ـ 179) قال: أخبرنا حُسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زِرّ عن عبد الله (يعني ابن مسعود) رضي الله عنه قال: ((لَمَّا قُبض رسول الله قالت الأنصار: مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، قال: فأتاهم عمر، فقال: يا معشر الأنصار! ألستم تعلمون أنَّ رسول الله قد أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس؟ قالوا: بلى! قال: فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر؟ قالوا: نعوذ بالله أن نتقدَّم أبا بكر! !)).

وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجالُه رجالُ الجماعة، وعاصم هو ابن أبي

النجــود، وحــديثُه فــي الصــحيحين مقــرونٌ، ورواه الحــاكم فــي المســتدرك (3/67)، وقـال: ((هـذا حـديثٌ صـحيحُ الإسـناد ولـم يخرجاه)) ووافقه الذهبي.

وفي صحيح البخاري (3668) أنَّ عمر رضي الله عنه قال لأبي بكر يوم السقيفة: ((بل نبايعُك أنت؛ فأنت سيِّدنا وخيرُنا وأحبُّنـا إلى رسول الله ، فأخذ عمر بيده، فبايعه وبايعه الناس)).

4 ـ روى مسلم في صحيحه (532) عن جنـدب بـن عبـد اللـه البجلي أنَّه قال: ((سمعتُ النَّبيَّ قبل أن يمـوت بخمـسٍ وهـو يقول: إنِّي أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ؛ فإنَّ الله تعالى قد اتَّخذني خليلاً، كما اتَّخذ إبراهيمَ خليلاً، ولوكنتُ متَّخذاً من أُمَّتي خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً)) الحديث.

وهذا التنويهُ بهذه الفضيلة العظيمة للصِّدِّيق في مرض مــوته وقبل وفاته بخمس ليالٍ، فيه إشارةٌ قويّةٌ إلى أنَّه الأحقُّ بالخلافــة من غيره.

5 ـ روى البخـاري (3664) ومسـلم (2392) فـي صـحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ يقول: ((بينـا أنا نائمٌ رأيتُني على قليبٍ عليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثمَّ أخذها ابنُ أبي قُحافة فنزع بها ذَنُوباً أو ذَنوبين، وفي نزعه ضَعفٌ، والله يغفر له ضعفَه، ثمَّ استحالت غرباً فأخذها ابنُ الخطاب، فلَم أَرَ عَبْقرياًّ من الناس ينزع نزعَ عمر، حتى ضرب الناسُ بعَطَن)).

ورؤيا الأنبياء وحيٌ، وهذه الرؤيا فيها إشارةٌ إلى خلافة أبي بكر وقِصَرها، وإلى خلافة عمر مِن بعده، وطولها وكثرة نفعها.

6 ـ روى ابـن أبـي شـيبة فـي مصـنّفه (7/434 رقـم:7053) فقال: حدثنا ابن نُمير، عن عبد الملك بن سلع، عن عبد خير قال: سمعتُ علياًّ يقول: ((قُبض رسول الله على خير ما عليه نَبِـيٌّ من الأنبياء، قال: ثمَّ استخلف أبو بكر فعمل بعمل رسـول اللـه وبسنته، ثمَّ قُبض أبو بكر على خير ما قُبض عليه أحد، وكان خيــرَ

هذه الأمة بعد نبيِّها، ثمَّ استُخلف عمر فعمل بعملهما وسنتهما، ثمَّ قُبض على خير ما قُبض عليه أحد، وكان خيرَ هذه الأمة بعد نبيِّها وبعد أبي بكر)).

ورجالُ هذا الإسناد محتجٌّ بهم، فعبد خير وعبد الله بن نمير ثقتان، وعبد الملك بن سلع صدوق.

ثانياً: حكايةُ الإجماع والاتّفاق على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

صريحٌ على خلافة أبي لَم يأت نصٌّ عن رسول الله بكر أو غيره، لكنَّه قد جاء أحاديث صحيحة تدلُّ دلالة قويَّة على أنَّه أولَى من غيره بالخلافة، وقد مرَّ جملةٌ منها، وقد حصل اتِّفاق الصحابة رضي الله عنهم على في قوله في بيعته، وتحقَّق ما أخبر به الرسول الحديث المتقدِّم قريباً: ((يأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر))، ويدلُّ على حصول اتِّفاقهم على بيعته ما يلي:

1 ـ روى الحاكم في المستدرك (3/78 ــ 79) قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي وأحمد بن منيع، قالا: ثنا أبو بكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زِر، عن عبد الله (يعنِي ابنَ مسعود) قال: ((ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيِّئاً فهو عند الله سيِّء، وقد رأى الصحابةُ جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه)).

ورجاله مُحتجٌّ بهم، والقطيعي ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (16/210)، وقال عنه: ((الشيخ العالم المحدِّث مسند الوقت)).

2 ـ روى البخاري في صحيحه (7219) بإسناده إلى الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه سمع خطبة)) :أنَّه قال عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي

فتشهَّد وأبو بكـر صـامت لا يتكلَّـم، قـال: كنـت أرجـو أن ،ﷺ النَّبِيُّ حتى يَدْبَرَنا، يريد بذلك أن يكون آخرَهم، فإن ﷺ يعيش رسول الله قد مات، فإنَّ الله تعالى قد جعل بيـن أظهرِكـم نـوراً ﷺ يكُ محمدٌ وإنَّ أبا بكر صـاحب رسـول ،ﷺ تهتدون به بما هدى الله به محمداً ثاني اثنين، فإنَّه أولَـى النـاسِ بـأمورِكم، فقومـوا فبـايِعوه، ﷺ الله وكانت طائفةٌ منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بَنِـي سـاعدة، وكـانت بيعـة العامـة علـى المنـبر، قـال الزهـري (أي بالإسـناد المتقدِّم) عن أنس بن مالك: سمعتُ عمر يقول لأبي بكر يومئـذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبـايعه النـاسُ عامَّـة)).

3 ـ روى أبو داود فـي سـننه (4630) قـال: حـدَّثنا محمـد بـن مسكين، حدَّثنا محمد ــ يعنـي الفريـابي ــ قـال: سـمعتُ سـفيان (يعني الثوري) يقول:

((مَن زعم أنَّ عليًّا عليه السلام كـان أحـقَّ بالولايـة منهمـا فقـد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، ومـا أراه يرتفـع لـه مـع هذا عمل إلى السماء)).

إسـناده صـحيح، ومحمـد بـن يوسـف الفريـابي ثقـة أخـرج لـه الجماعة، ومحمـد بـن مسـكين ثقـة، أخـرج لـه البخـاري ومسـلم وأبوداود والنسائي.

4 ـ روى البيهقي في كتابه مناقب الشافعي (1/434) بإسناده إلـى الشـافعي قـال: ((أجمـع النـاسُ علـى خلافـة أبـي بكـر، واستخلَف أبو بكر عمر، ثمَّ جعل عمرُ الشورى إلى ستة، على أن يُوَلُّوها واحداً، فوَلَوْها عثمان رضي الله عنهم أجمعين)).

5 ـ قال الإمام أبو الحسن الأشعري علـي بـن إسـماعيل فـي كتابه الإبانـة (ص:185 ــ 186):ـ ((وأثنـى اللـه عـزَّ وجـلَّ علـى المهاجرين والأنصـار والسـابقين إلـى الإسـلام، وعلـى أهـل بيعـة الرضوان، ونطق الكتاب بمدح المهـاجرين والأنصـار فـي مواضـع كثيرة، وأثنى على أهـل بيعـة الرضـوان، فقـال عـزَّ وجـلَّ: {لَقَـدْ

رَضِيَ الله عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} الآية.

قد أجمع هؤلاء الذين أثنى عليهم ومدَحهم على إمامة أبي بكر وبايعوه ، الصديق رضي الله عنه، وسَمَّوه خليفة رسول الله وانقادوا له، وأقَرُّوا له بالفضل، وكان أفضلَ الجماعة في جميع الخصال التي يستحقُّ بها الإمامةَ من العلم والزهد وقوَّة الرأي وسياسة الأمَّة وغير ذلك)).

6 ـ قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الحافظ المعروف بابن السَّقاء: ((وأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، قالوا له: يا خليفة رسول الله! ولَم يُسَمَّ أحدٌ بعده عن ثلاثين ألف مسلم، كلٌّ قال خليفة، وقيل: إنَّه قُبض النَّبِيُّ لأبي بكر: يا خليفة رسول الله! ورَضوا به مِن بعده، رضي الله عنهم، وإلى حيث انتهينا قيل لهم: أمير المؤمنين)). من تاريخ بغداد للخطيب (10/131).

والمراد أنَّ أبا بكر كان يُقال له: يا خليفة رسول الله! وأمَّا غيره فيُقال له: يا أمير المؤمنين.

7 ـ قال أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن في كتابه عقيدة السَّلف أصحاب الحديث (ص:87): ((ويُثبت أصحابُ الحديث خلافةَ أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله باختيار الصحابة واتِّفاقهم عليه وقولهم قاطبة: رَضِيَه رسولُ الله لدِيننا فرضيناه لدُنيانا، يعني أنَّه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيَّام مرضه وهي الدِّين، فرضيناه خليفةً علينا في أمور دُنيانا للرسول.

فمَن ذا الذي يُؤَخِّرك؟ وأرادوا أنَّه وقولهم: قدَّمك رسول الله قدَّمَك في الصلاة بنا أيَّام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمَن ذا الذي يُؤخِّرك بعد تقديمه إيَّاك؟!

يتكلَّم في شأن أبي بكر في حال حياته بِما وكان رسول الله يُبيِّن للصحابة أنَّه أحقُّ الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتَّفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه ــ والله ــ وارتفعوا به وعَزُّوا وعَلَوْا

بسببه)).

8 ـ قال الإمام البيهقي في كتابه الاعتقاد (ص:179 ــ 180): ((وقد صحَّ بما ذكرنا اجتماعُهم على مبايعته مع علي بن أبي طالب، فلا يجوز لقائل أن يقول:كان باطنُ عليٍّ أو غيرِه بخلاف ظاهرِه، فكان عليٌّ أكبرَ محلاًّ وأجلَّ قدراً من أن يقدم على هذا الأمر العظيم بغير حقٍّ أو يُظهِرَ للناس خلافَ ما في ضميره، ولو جاز هذا في اجتماعهم على خلافة أبي بكر لَم يصحَّ إجماعٌ قطُّ، والإجماعُ أَحَدُ حُجَج الشريعة، ولا يجوز تعطيلُه بالتوهُّم)).

9 ـ قال ابن قدامة في لُمعة الاعتقاد (ص:35) :((وهو (أي لفضله أبو بكر الصديق) أحقُّ خلق الله بالخلافة بعد النَّبِيِّ ؛ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم وسابقته وتقديم النَّبِيِّ وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة)).

10 ـ قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (1/264):
((وأجمعت الصحابةُ على تقديم الصدِّيق بعد اختلافٍ وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بَنِي ساعدة في التعيين، حتى قالت الأنصار: منَّا أميرٌ ومنكم أمير، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك، وقالوا لهم: إنَّ العربَ لا تدين إلاَّ لِهذا الحيِّ من قريش، ورَوَوا لهم الخبرَ في ذلك، فرجعوا وأطاعوا لقريش)).

11 ـ قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (15/154 ـ 155) عند شرحه لأثر عائشة رضي الله عنها لَمَّا سُئلت :((مَن كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثمَّ مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثمَّ قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيد بن الجراح، ثمَّ انتهت إلى هذا))، هذا دليلٌ لأهل السُّنَّة في تقديم أبي بكر ثمَّ عمر في تقديم للخلافة مع إجماع الصحابة، وفيه دلالة لأهل السُّنَّة أنَّ خلافةَ أبي :قال

على خلافته صريحاً، بل أجمعت بكر ليست بنصٍّ من النَّبِيِّ الصحابةُ على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته، ولو كان هناك نصٌّ عليه أو على غيره لَم تقع المنازعةُ من الأنصار وغيرهم أولاً، ولَذَكر حافظ النصَّ ما معه، ولرجعوا إليه، لكن تنازعوا أوَّلاً، ولم يكن هناك نصٌّ، ثمَّ اتَّفقوا على أبي بكر واستقرَّ الأمر)).

12 ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (6/455): ((... فبايعه الذين بايعوا الرَّسولَ تحت الشجرة، والذين بايعوه ليلة العقبة، والذين بايعوه لَمَّا كانوا يُهاجرون إليه، والذين بايعوه لَمَّا كانوا يُسلمون من غير هجرة كالطلقاء وغيرِهم، ولم يقل أحدٌ قطُّ: إنِّي أحقُّ بهذا مِن أبي بكر، ولا قاله أحدٌ في أحدٍ بعينه: إنَّ فلاناً أحقُّ بهذا الأمر من أبي بكر)).

13 ـ عقد ابن القيم في كتابه ((الفوائد)) فصلاً في فضائل أبي بكر، ومِمَّا جاء فيه قوله في (ص:95):ـ ((نطقتْ بفضله الآياتُ والأخبارُ، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار)).

14 ـ قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (9/415 ـ 418): ((وقد اتَّفق الصحابةُ رضي الله عنهم على بيعة الصِّديق في ذلك الوقت، حتى عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وأرضاهما، والدليل على ذلك ما رواه البيهقي حيث قال: أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن علي الحافظ الإسفراييني، ثنا أبو علي الحُسين بن علي الحافظ، ثنا أبو بكر بن خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب، قالا: نا بُندار بن بشار، ثنا أبو هشام المخزومي، ثنا وُهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نَضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: ((قُبض رسول الله ، واجتمع الناسُ في دار سعد بن عُبادة، وفيهم أبو بكر وعمر، قال: فقام خطيبُ الأنصار فقال: أتَعلمون أنَّ رسول الله كان من المهاجرين، وخليفتَه من المهاجرين، ونحن كنَّا أنصارَ رسولِ الله ، فنحن أنصارُ خليفتِه كما كنَّا أنصارَه، قال: فقام عمرُ بنُ الخطاب، فقال: صدق قائلُكم، ولو قُلتُم غيرَ هذا لَم نُتابِعكم، فأخذ بيد أبي بكر، وقال:

هذا صاحبُكم فبايِعوه، فبايعه عمـر، وبـايعه المهـاجرون والأنصـارُ، قال: فصعد أبو بكر المنبرَ، فنظر في وجوه القوم، فلَم يرَ الزبيرَ، وحـواريُّه، فدعا بالزبير فجاء، قال: قلتَ: ابنُ عمَّ ةِ رسـول اللـه أردتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين؟! قال: لا تثريبَ يا خليفـة رسـول الله! فقام فبايعه، ثمَّ نظر في وجوه القـوم فلَـم يـرَ عليًّـا، فـدعا بعليِّ بن أبي طالب، فجاء فقـال: قلـتَ: ابـنُ عـمِّ رسـول اللـه وختَنُه على ابنتِه، أردتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين؟! قال: لا تثريبَ ((هذا أو معناه ،(يا خليفة رسول الله! فبايعه.

وهذا إسنادٌ صحيح، رجاله رجال مسلم، وابن خزيمـة هـو إمـام الأئمة صاحب الصحيح.

وإبراهيم بن أبي طالب هو محمد بن نوح، ترجمه الـذهبي فـي سـير أعلام النبلاء (13/457) وقـال: ((الإمـام الحـافظ المجـوِّد الزاهد، شيخ نيسابور، وإمام المحدِّثين فـي زمـانه))، ونقـل عـن الحاكم أنَّه قال فيه: ((إمام عصره بنيسابور في معرفة الحـديث والرِّجال، جمع الشيوخ والعلل)).

وأبو علي الحسين بن علي الحافظ، ترجمه الـذهبي فـي سـير أعلام النبلاء (16/51) وقال: ((الحافظ الإمام العلاَّمة الثبـت أبـو علـي الحسـين بـن علـي ابـن يزيـد بـن داود النيسـابوري، أحـد النُّقَّاد)).

وشــيخ الــبيهقي، ترجمــه الــذهبي فــي ســير أعلام النبلاء (17/305) وقال: ((الإمـام الحـافظ النَّاقـد القاضـي أبـو الحسـن علـي بـن محمـد بـن علـي بـن حسـين ابـن شـاذان بـن السَّـقا الإسفراييني، من أولاد أئمَّة الحديث، سـمع الكتـب الكبـار وأملـى وصنَّف)).

وقد أورد ابـن كـثير حـديث الـبيهقي هـذا فـي البدايـة (8/92) بإسناده ومتنه، وفيه أنَّ كنية شيخه أبو الحسن، ثمَّ قال: ((وهـذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنـذر بـن مالـك بـن قُطَعة، عن أبي سعيد سعد بن مالك بـن سِـنان الخـدري))، وقـد

ساق البيهقي في السنن الكبرى (8/143) هذا الإسناد وأحال في متنه على متن إسناد قبله، وقال:
وفيه أنَّ كنية شيخه: أبو الحسن ،((بنحوه)).

وقال ابن كثير أيضاً (9/417): ((وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم، حدَّثني أبي أنَّ أباه عبد الرحمن) بن عوف كان مع عمر، وأنَّ محمد بن مسلمة كسَر سيفَ الزبير، ثمَّ خطب أبو بكر، واعتذر إلى الناس، وقال: والله! ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا سألتُها الله في سرٍّ ولا علانية، فقبِل المهاجرون مقالتَه، وقال عليٌّ والزبير: ما غضِبْنا، إلاَّ لأنَّنا أُخِّرنا عن المشورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعد ؛ إنَّه لصاحبُ الغار، وإنَّا لنعرِف شرَفَه وخَيْرَه، ولقد رسول الله بالصلاة بالناس وهو حي أمره رسولُ الله).

وهذا اللاَّئق بعليٍّ رضي الله عنه، والذي تدلُّ عليه الآثار من شهودِه معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القَصَّة بعد موت كما سنورده، وبذلِه له النصيحةَ والمشورةَ بين ، رسول الله يديه، وأمَّا ما يأتي من مبايعته إيَّاه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه الصلاة والسلام بستَّة أشهر، فذلك محمولٌ على أنَّها بيعةٌ ثانية أزالت ما كان قد وقع من وَحشةٍ بسبب الكلام في في قوله: (لا الميراث، ومنعه إيَّاهم ذلك بالنصِّ عن رسول الله ((نورَث ما تركنا فهو صدقة).

وإسناد موسى بن عقبة صحيح؛ سعد بن إبراهيم وأبوه من رجال الصحيحين، وسعدٌ ثقة، وأبوه له رؤية.

15 ـ قال يحيى بن أبي بكر العامري في كتابه الرياض المستطابة (ص:143):ـ ((وقد كانت بيعتُه إجماعاً من الصحابة الذين هم أعرفُ بالحال، وأدرى بصحَّة الدليل في المقال، والإجماعُ حُجَّة قطعية من غيرهم، فما ظنُّك بهم؟!)).

ومِمَّا تقدَّم من الأحاديث والآثار وحكاية الإجماع يتبيَّن أنَّ خلافةَ أبي بكر رضي الله عنه حقٌّ، وأنَّه أوْلَى بالخلافة من غيره، وأنَّ القولَ بخلاف ذلك ضلالٌ عن الحقِّ وخروجٌ عن الجادَّة واتِّباعٌ لغير

فـي قـوله: ((يـأبى اللـه سبيل المـؤمنين الـتي بيَّنهـا الرسـول والمؤمنون إلاَّ أبا بكر))، فالله يأبى إلاَّ أبا بكر، والمؤمنون يــأبون إلاَّ أبا بكر، ويأبى بعضُ الذين اتَّبعوا غيرَ سبيل المؤمنين مِن أهــل الأهواء والبدعِ إلاَّ غير أبي بكر، نعوذ بالله من الخذلان.

ثمَّ أقول: إنَّ غُلوَّ المالكي في عليٍّ رضي الله عنه لا يُفيد عليًّـا شيئاً، وإنَّ جفاءَه في حقِّ الكثيرين من الصحابة لا يضُـرُّهم شـيئاً، وإنَّما مضرَّة الغلوِّ والجفاء تعود على الغالي الجـافي، نسـأل اللـه السلامةَ والعافية.

تنبيه: بعد إيراد المالكي كلامه الذي شكَّك فيه في أَوْلَوِيَّـةِ أبـي بكر رضي الله عنه في الخلافة أورد كلاماً يُشكِّك فيه فـي أَوْلويـة عمر وعثمان رضي الله عنهما في الخلافة من بعده، ولَـم أُشـغِل نفسي بإيراده هنا والردِّ عليه؛ اكتفاءاً بمـا تقـدَّم فـي خلافـة أبـي بكر رضي الله عنه، ومن المعلـوم أنَّ مَـن سـهُل عليـه التشـكيكُ في خلافة أبي بكر فإنَّ تشكيكَه في خلافـة عمـر وعثمـان أسـهلُ وأسهل، نسأل الله السلامة والعافية من كلِّ شرٍّ وسوء.

* * *

زعمه أنَّ العبَّـاس بـن عبـد المطلـب وابنـه عبـد اللـه رضي الله عنهما ليسَا من الصحابة والرد عليه:

ذَكَرَ آثاراً مستدلاًّ بهـا علـى أنَّ الصـحابةَ ليسـوا إلاَّ المهـاجرين والأنصار، وأنَّ العباس وابنَه عبد الله ليسَا من الصحابة، فقال في (ص:52): ((الدليل الواحد والعشرون: وقال العبـاس لابنـه عبـد الله: (يا بُنَيَّ! أرى أمير المؤمنين
ـ يقصد عمر ـ يُقرِّبك ويَخلو بك ويستشيرُك مع ناسٍ من أصـحاب فـاحفظ عنِّـي ثلاثـاً ...) (فضـائل الصـحابة لأحمـد ،، رسـول اللـه 2/957) والإسناد رجاله ثقات إلاَّ مجالد بن سعيد.

أقول: إن صـحَّ فالعبـاس لا يـرى نفسـه ولا ابنَـه مـن أصـحاب النَّبِيِّ ، وقـد جـدًّا، ضعيفٌ مجالِد من سياق الخبر، لكن يُفهَم هذا اتُّهم بالكذب، لكن يشهد للمتن ما يأتي:

الدليل الثاني والعشرون: قول ابـن عبـاس نفسـه (كـان عمـر يسـألُنِي مـع أصـحاب محمـد ، فكـان يقـول لـي ...) (فضـائل الصحابة لأحمد 2/970، وإسناده صحيح، وقد صححه المحقق).

أقول: هذا دليل على أنَّ ابنَ عباس أخرج نفسَـه مـن أصـحاب محمد ، وهو دليل على خروج مَن أسلم بعده كالطلقاء وأمثالِهم، وهذا الإسناد صحيح إلى ابن عباس!

الدليل الثالث والعشرون: قول ابن عباس: (لَمَّا قُبض النَّبِـيُّ قلت لرجل من الأنصار: هَلُمَّ فلنسأَلْ أصحابَ النَّبِيِّ عن حــديث، قـال: العجـب منـك يـا ابـن عبـاس! أتـرى النـاسَ يحتاجون إليك وفي الأرض مَن ترى من أصحاب رسول الله ...؟!) (فضـائل الصـحابة لأحمـد 2/976، وسـنده صـحيح، وقـد صـححه المحقق).

أقول: وهذا يشهد لقول ابـن عبـاس السـابق أنَّ الصـحابةَ هـم المهاجرون والأنصار فقط!!!

الدليل الرابع والعشرون: قول الليث: قيل لطاووس: أدركتَ أصحاب محمد، وانقطعتَ إلى ابن عباس؟! فقال: أدركتُ سبعين من أصحاب النَّبِيِّ إذا اختلفوا فـي شـيء انتهـوا إلـى قـول ابـن عباس) (فضائل الصحابة لأحمد 2/967، والإسناد رجاله ثقات، إلاَّ ليث بن أبي سليم، وقد حسنه المحقق، وصحَّح الأثر).

أقول: طاووس بن كيسان من كبار التابعين، ومن ظـاهر الأثـر يبدو
ـ والله أعلم ـ أنَّه لا يرى ابنَ عباس من أصحاب النَّبِيِّ مع جلالة ابن عباس وفضله وعلمه)).

أقول:

إنَّ قَصْـرَ المـالكي الصُّـحبةَ المحمـود أهلهـا علـى المهـاجرين والأنصار قبـل صُـلح الحُديبيـة أوقعـه فـي إخـراجِ عـددٍ كـبير مـن الصحابة من أن ينـالوا شـرفَ الصُّحبة، وفيهـم العبـاسُ بـن عبـد

رضي الله عنه وابنُه عبد الله بن عباس حَبْـر المطلب عمُّ النَّبِيِّ الأمَّة وترجمان القـرآن، الـذي بلغـت أحـاديثُه فـي الكتـب السـتة ستين وستمئة وألف حديث، كما فـي الخلاصـة للخزرجـي، اتَّفـق البخاري ومسلم منها على خمسة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بإخراج ثمانية وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين.

وإنَّها لإحدى الكُبَر أن يَدَّعيَ المالكيُّ أنَّ العبَّاسَ وابنَه عبد اللـه لَم يظفرَا بفضيلة الصُّحبة، وهو شيء لَم يُسبَق إليه، وما سـمعتُ ولا رأيتُ قبل وقوفي على كلامه هذا مثل هـذه الـدَّعوى الباطلـة الخاطئة، وإنَّ مُجرَّدَ تصوُّر هذا القول الباطل يُغنِي عن الاشـتغال بالردِّ عليه، ومع هذا فإنِّي أجيب عليه بما يأتي:

الأول: أنَّه لَم يأت عن أحدٍ من الصحابة ومَن بعـدهم مـا يُخـرج العباس وابنَه عبد الله مِن أن ينالاَ شرف الصُّحبة لرسول اللـه ، وعلى هذا فمِثْلُ هذه الدعوى من المـالكي مِـن مُحـدَثات القـرن الخامس عشر!

الثاني: أنَّ ذِكرَ أحد الصحابة أصحابَ النَّبِـيِّ لا يُخرجـه منهـم، فما ذكره المالكيُّ من آثار جاء فيها ذِكرُ العباس أو ابنِـه أصـحابَ ليس فيها دليل على إخراجهما، مع أنَّ ذكرَه للعباس رسول الله جاء في إسنادٍ فيه مُجالد الذي قال فيه إنَّه ضعيفٌ جدًّا، وقد اتُّهم بالكذب، ومِمَّا يُوَضِّح ذلـك مـا رواه أبـو داود فـي سـننه (3651) قال: حدَّثنا عمرو بن عون، أخبرنا خالـد، ح وحـدَّثنا مسـدَّد، حـدَّثنا خالد ـ المعنى ـ عن بيان بن بِشر، قال مُسدَّد: أبو بِشر، عن وَبْرة بن عبد الرحمن، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيـه قـال: كما يُحدِّث عنه قلت للزبير: ما يَمنعُك أن تُحدِّث عن رسول الله أصحابُه؟ فقال: أما والله! لقد كان لي منه وجـه ومنزلـة، ولكنِّـي سَـمعتُه يقـول: ((مَـن كـذب علـيَّ متعمِّـداً فليتبـوَّأ مقعـدَه مـن النـار))، وهوحـديث صـحيح، رجـال إسـنادِه خـرَّج لهـم البخـاري ومسلم في صحيحيهما إلاَّ أحد شيخي أبي داود وهو مسـدَّد، فهـو من رجال البخاري وحده.

 ما يَمنعُك أن تُحدِّث عن رسول الله)) :وقول ابن الزبير لأبيه لا يدلُّ على خروج الزبير وابنِه من ((كما يُحدِّث عنه أصحابُه؟ ؛ فإنَّ الزبير رضي الله عنه من السابقين الأولين أصحابِ النَّبِيِّ من المهاجرين، وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وابنه عبد الله أوَّل مولود وُلد بالمدينة بعد الهجرة.

ويدلُّ لذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه (2984) عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ((يا رسول الله! يرجع أصحابُك بأجر حجٍّ وعمرةٍ، ولم أزِدْ على الحج؟)) الحديث.

 :وفي حديث عائشة في صحيح مسلم (2/875) قالت)) مُهِلِّين بالحج؟ ... فخرج إلى أصحابه، خرجنا مع رسول الله فقال: مَن لَم يكن معه منكم هَدْيٌ فأحبَّ أن يجعلها عمرةً فليفعل، ومَن كان معه هديٌ فلا، فمنهم الآخذ بها والتَّاركُ لها فكان معه الهدي، ومع مِمَّن لَم يكن معه هديٌ، فأمَّا رسول الله وأنا أبكي، رجال من أصحابه لهم قوَّة، فدخل عليَّ رسولُ الله فقال: ما يبكيك؟ قلتُ: سمعتُ كلامك مع أصحابك فسمعت ((بالعمرة فمُنِعتُ العمرة، قال: وما لك؟ قلت: لا أصلِّي الحديث.

فذِكرُ أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها أصحابَ رسول الله في هذه المواضع الثلاثة لا يدلُّ على إخراجها منهم، بل إنَّه يدلُّ على أنَّ كلَّ الذين صحبوه في حجَّته هم من أصحابه. وهذا الذي جاء عن العباس وابنه وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم له ورضي الله عنهم، نظائرُ كثيرةٌ في كلام أصحاب رسول الله وهو واضحٌ في عدم خروج المتكلِّم به ومَن يخاطبه مِن أن يكون مِن أصحاب النَّبِيِّ.

الثالث: أنَّ ما زعمه المالكي مِن كون العباس وابنه عبد الله هو من ، رضي الله عنهما لَم ينالا شرفَ صحبة رسول الله فقد قال شيخُ الإسلام ، الجفاء في بعض أهل البيت من أصحابه

وأبعدُ الناس عن هذه)) :ابن تيمية في مجموع الفتاوى (4/419) في أهل بيته ـ الرافضةُ؛ فإنَّهم الوصيَّة ـ يعني وصيَّةَ رسول الله يُعادون العباسَ وذرِّيَّتَه، بل يعـادون جمهـورَ أهـل الـبيت ويُعينـون الكفارَ عليهم)).

بل إنَّ هذا من المـالكي جفـاءٌ فـي مَـن هـو أقـربُ نسـباً إلـى رسول الله ، عمه العباس رضي الله عنـه الـذي لوكـان يُـورَث لوَرِثه عمُّه مع زوجاته وبنته رضي الله عنهنَّ؛ لقوله : ((ألْحِقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأَوْلَى رجـلٍ ذَكـر متفـق عليه، وأيضاً هو جفاءٌ لابن عمِّه
عبد الله بن عباس، الذي ضَمَّه وقال: ((اللهمَّ علِّمه الكتــاب)) رواه البخاري (75)، وفي لفظ عنده (143): ((اللهمَّ فقِّهـه فـي الدِّين)).

أقول: أفيكـون هـذان الـرَّجلان العظيمـان لَـم يظفَـرَا بشـرف صُحبة النَّبِيِّ ، كما زعم هذا المالكي؟! نعوذ بالله من الخذلان.

* * *

زعمه أنَّ خالد بن الوليـد رضـي اللـه عنـه ليـسَ مـن الصحابة والرد عليه:

قال في (ص:43 ـ 45):ـ ((الدليلُ الثالث عشر: حـديثُ خالـد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف، وهـو قـولُ النَّبِـيِّ : (لا تسُـبُّوا أحداً من أصحابي؛ فإنَّ أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحـدهم ولا نصـيفه)، ثـمَّ علَّـق عليـه هنـا فـي الحاشـية بقـوله: مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة)).

ثمَّ قال: ((أقول: الحديث مشهورٌ بلفـظ (لا تسُـبُّوا أصـحابي)، وهو يخاطب خالدَ بنَ الوليد عندما تخاصـم مـع عبـد الرحمـن بـنِ عوف في قضيَّة بني جَذِيمة بعد فتح مكة.

وهذا دليلٌ واضحٌ على إخراج النَّبِيِّ لخالد بـن الوليـد وطبقتـه

من الصحبة الشرعية لأكثر من دلالة:

الدلالة الأولى الأقوى: أنَّ تكملةَ الحديث فيه بيان للصحبة الشرعية، وأنَّها لا تُدرَك؛ لقوله : (فلو أنفق أحدُكم مثلَ جبل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه).

فهذه هي الصحبة الشرعيَّةُ تماماً، وهي التي لَم يُدْرِكْها خالد بنُ الوليد، على فضله وبلائه وشجاعته، كما لَم يُدْرِكْها طبقةٌ كعمرو بن العاص ونحوه، فمن باب أولى ألاَّ يدركَها طلقاءُ مكة، ولا عُتقاءُ ثقيف، ولا الأعرابُ، ولا الوفودُ المتأخِّرون ونحوهم.

الدلالة الثانية: أنَّ خالد (كذا) أقرَّ بهذا ولم يقل: (يا رسول الله! أو لستُ من أصحابك؟!؛ لأنَّ خالد (كذا) يعرف الفرقَ بين الصحبة الشرعية التي قام عليها الإسلام، وبين الصحبة العامة أو اللاَّحقة التي يمكن أن يُطلق على أصحابها (التابعين) أيضاً.

الدلالة الثالثة: أنَّ قصَّةَ الحديث وقعت بعد فتح مكة، وبعد أن صحب خالد بن الوليد النَّبِيَّ مدَّةً من الزمن، لكن لَم تشفع له في الحصول على فضيلة الصحبة الشرعية، فكيف بِمَن بعده؟!
)).

والجوابُ:

أنَّ قولَ النَّبِيِّ : ((لا تسبُّوا أصحابي)) ـ والمرادُ به عبد الرحمن بنُ عوف وغيرُه مِمَّن تقدَّم إسلامُهم ـ لا يدلُّ على حصر الصحبة في عبد الرحمن وأمثاله، وإنَّما يدلُّ على مزيد فضلِ هؤلاء، وإن كان غيرُهم قد شاركهم في الفضل، مع التفاوت الكبير بين الصحابة في الفضل، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (8/431 ـ 433): ((ومِمَّا يبيِّن أنَّ الصحبة فيها خصوصٌ وعمومٌ، كالولاية والمحبة والإيمان وغير ذلك من الصفات التي يتفاضلُ فيها الناسُ في قَدْرِها ونَوعِها وصِفَتِها، ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال

لا تسُبُّوا أحداً من أصحابي؛ فإنَّ أحـدَكم لـو أنفـق) :ﷺ رسول الله انفرد مسـلمٌ بـذكر ،(مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه يقول لخالد ونحــوه: (لا ﷺ خالد وعبدالرحمن دون البخاري، فالنَّبِيُّ تسُبُّوا أصحابي)، يعنـي عبـدالرحمن بـن عـوف وأمثـاله؛ لأنَّ عبـد الرحمن ونحوَه هم السابقون الأوَّلون، وهـم الـذين أسـلموا قبـل الفتح وقاتلوا، وهـم أهـلُ بيعـة الرضـوان، فهـؤلاء أفضـلُ وأخـصُّ بصحبته مِمَّن أسلَم بعد بيعة الرضـوان، وهـم الـذين أسـلموا بعـد أهلَ مكة، ومنهم خالد وعمرو بــن ﷺ الحديبية، وبعد مصالحة النَّبيِّ العاص وعثمان ابن أبي طلحة وأمثالهم، وهؤلاء أسبق من الــذين تأخَّر إسلامُهم إلى أن فُتحت مكة وسُمُّوا الطُّلَقاء مثل سُهيل بــن عمرو والحارث بـن هشـام وأبـي سـفيان بـن حـرب وابنيـه يزيـد ومعاوية وأبي سفيان بن الحارث وعكرمة بن أبي جهل وصــفوان بن أمية وغيرهم، مع أنَّه قد يكون في هؤلاء مَن برز بعلمِـه علـى بعض مَـن تَقَـدَّمه كـثيراً، كالحـارث بـن هشـام وأبـي سـفيان بـن الحارث وسُهيل بن عمرو، وعلـى بعـض مَـن أسـلم قبلهـم مِمَّـن أسلم قبل الفتح وقاتل، وكما بـرز عمـر بـنُ الخطـاب علـى أكـثر الذين أسلموا قبله.

والمقصود هنا أنَّه نَهْيٌ لِمَن صحِبَه آخـراً أن يسـبَّ مَـن صـحبه أوَّلاً؛ لامتيازهم عنهم في الصحبةِ بِمـا لا يمكـن أن يشـركهم فيـه، حتى قال: لو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُـدٍ ذهبـاً مـا بلـغ مُـدَّ أحـدهم ولا نصيفه.

فإذا كان هذا حالُ الذين أسلموا من بعـد الفتـح وقـاتلوا، وهـم من أصحابه التـابعين للسـابقين، مـع مـن أسـلم مـن قبـل الفتـح وقاتل، وهم أصحابُه السابقون، فكيف يكون حالُ مَـن ليـس مـن أصحابه بحال مع أصحابه؟!)).

* * *

زعمه أنَّ معاويةَ رضي اللـه عنـه ليـسَ مـن الصـحابة والرد عليه:

قال في معاوية رضي الله عنه في (ص:54 ــ 55): ((الـدليلُ الخامس والعشرون: أثرِ الأسود بن يزيد قـال: قلـت لعائشـة: ألا تعجبين لرجلٍ من الطُّلَقاء ـ يقصد معاوية ـ ينازِع أصحابَ محمد في الخلافة؟

قـالت: ومـا تعجـب مـن ذلـك؟ هـو سـلطان اللـه يـؤتيه الـبرَّ والفاجر، وقد ملك فرعونُ أهلَ مصر أربعمائة سنة.

 أقول: الأثر فيه إخراجُ عائشـة لمعاويـة مـن أصـحاب النَّبِـيِّ، وفيه أيضاً أنَّ التابعين لَم يكونوا يرون الطُّلقاءَ من أصحاب النَّبِـيِّ بل والصحابة أيضاً؛ كمـا نـرى مـن اتِّفـاق رأي عائشـة مـع رأي التابعي الجليل الأسود بن يزيد النخعي!)).

وقد علَّق على هذا الأثر بقوله في الحاشية: ((الأثـر رواه ابـن عساكر من طريق أبي داود الطيالسي، حدثنا أيوب بن جابر عــن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيـد، وهـذا الإسـناد رجـاله ثقـات إلاَّ أيوب بن جابرٍ مختلف فيه، وقد قوَّى أمرَه أحمدُ بن حنبل وعمـرو بن عليّ الفلاَّس وابن عدي والذهبي والبخاري، وضعَّفه ابن معين والنسائي وابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة ويعقوب بن سفيان، وتوسَّط فيه الذهبي: مشهور صالح الحديث، ضعَّفه بعضُهم.

)) أقول: فالإسناد جيِّد في الجملة إن شاء الله.

وقال في معاوية رضي الله عنـه وغيـره فـي (ص:50 ــ 51): أُمروا بالاستغفار لأصـحاب) :((الدليل التاسع عشر: قولُ عائشة (مسلم 4/231) (فسبُّوهم محمد.

كانت تلمِّح لِمَا يفعله أهلُ الشـام مـن لعـن علـي وبعـض أهـل العراق في لعن عثمان.

 أقول: وهذا يُفهم منه أنَّ هـؤلاء ليسـوا مـن أصـحاب محمـد، ومثله قول ابن عمر: (لا تسـبُّوا أصـحاب محمـد؛ فلَمقَـامُ أحـدهم ساعة خيـرٌ مـن عمـل أحـدكم عمـره) (فضـائل الصـحابة لأحمـد 1/57، 2/97).

فهذا القول وقول عائشة وأقوال لسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيرهم، إنَّما انتشرت لمَّا انتشر بين الناس سبُّ عليٍّ وقد كان يسبُّهما بعضُ من ، وعثمان، فهما من أصحاب محمد أو له صحبة حسب فَهْمنا للصحبة، فلمَّا طال علينا رأى النَّبِيَّ الأمرُ وانقطع سبُّ علي وعثمان وطلحة والزبير وأمثالهم، وبقي سبُّ معاوية وعمرو وأمثالهما أخذنا هذه النصوص والآثار لنواجه بها الشاتِمين الجُدد، لكن المشتومين من الطُّلَقاء ليسوا مثل المشتومين من السابقين، بل إنَّ الطُّلَقاء ليسوا من الصحابة أصلاً، لكنهم دخلوا الصحبة بسبب الدفاعات التي تستلهم معها مثل هذه الآثار (تتبَّع هذا؛ فإنَّه مُهمٌّ ولن تجده بسهولة)!!)).

ثمَّ علَّق في الحاشية على هذا الكلام بقوله: ((خاطب بالآثار السابقة ابنُ عمر الذين (كذا) مَن يلعن عثمان، وخاطب به سعيدُ بن زيد المغيرةَ ابنَ شعبة، وخاطبت عائشة مَن يسبُّ السابقين، وخاطب سعدُ بنُ أبي وقَّاص مَن يسبُّ عليًّا، وهكذا، بل قد كان ابن عباس يلعن معاوية بسبب قطعه التلبية يوم عرفة (المسند 3/264 تحقيق أحمد شاكر)، فابن عباس قد روى بعضَ النصوص في تحريم سبِّ الصحابة، ومع ذلك يرى جواز لعن معاوية، ويفعله لسببين: لأنَّه يعرف أنَّ معاوية ليس صحابيًّا، ولأنَّه رأى تغييراً لسُنَّة النَّبِيِّ (ص) (كذا)، وغيَّرها أهلُ الشام بُغضاً لعليٍّ لأنَّه وقد كان يلعَن معاويةَ كثيرٌ ، كان يُلبِّي يوم عرفة اقتداءً بالنَّبِيِّ من المهاجرين السابقين والأنصار، كعليٍّ وعمَّار وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم، وقد ذهب إلى جواز لعنه من العلماء المتأخِّرين محمد بن عقيل (وهو عالم سُنِّي) في كتابه النصائح الكافية!!)).

وقال في (ص:55)ـ ((الدليل السادس والعشرون: قول معاوية لكعب لَمَّا بشَّره بأنَّه سيكون بعد عثمان: تقول هذا وها هنا علي والزبير وأصحاب محمد؟ قال: أنت صاحبها، يعنِي صاحب الخلافة.

أول: لَم أجد نصًّا عن معاوية يَدَّعي أنَّه من أصحاب رسول الله ، وهذا الأثر دليل على أنَّه لَم يكن يرى نفسَه منهم، وإن كان قد فيقصدُ الصُّحبةَ (قد صحبنا رسول الله) :ثبت عنه أنَّه يقول العامة لا الشرعية، فإن قصد الشرعيَّة فقوله مردودٌ بالكتاب والسُّنَّة.

وهناك أدلَّة أخرى سأستوفيها في النسخة النهائية لهذا ((المبحث الذي أطمع أن يخرج كتاباً إن شاء الله.

وعلَّق على الأثر بقوله: ((السنة للخلال (ص:281ـ 457)، وإسناد (كذا) صحيح، وقد صحَّح إسناده المحقق، ورواه ابن عساكر بالإسناد نفسه في تاريخه (59/123))).

ويُجاب عن هذا من وجوه:

الأول: أنَّ هذا الأثر عن عائشة رضي الله عنها غيرُ ثابت؛ لأنَّ الذين ضعَّفوا أيوب بن جابر كثيرون، والذين لَم يُضعِّفوه كلامهم فيه
ليس واضحاً في تقوية أمره، بل مقتضاه أنَّه يحتاج إلى مَن يعضده، وقد
قال عنه الذهبي في الكاشف: ((ضعيف))، وقال عنه الحافظ في التقريب:
((ضعيف)).

وإسناده عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (59/145) هكذا: أخبرنا أبو القاسم الحُسين بن الحسن بن محمد، أنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنا عبد الرحمن بن محمد بن ياسر، أنا علي بن يعقوب بن أبي العَقَب، حدَّثني القاسم بن موسى بن الحسن، نا عبدة الصفار، نا أبو داود، نا أيوب بن جابر، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة ... إلخ.

وفي إسناد ابن عساكر هذا القاسم بن موسى بن الحسن المشهور بالأشيب، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (12/435)،

ولم يزِد على ذِكر اثنين من تلاميذه، واثنين من شيوخه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول الحال، وفيه أيضاً عبد الرحمن بن محمد بن ياسر، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (17/415)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وفي ترجمته عنده أنَّه حسن الرأي في معاوية رضي الله عنه.

الثاني: أنَّ ما فهِمَه من قول الأسود بن يزيد لعائشة: ألا في الخلافة؟ تعجبين لرجلٍ من الطُّلَقاء ينازع أصحابَ محمد وإجابتها على ذلك، من أنَّ الطُّلَقاء ـ ومنهم معاوية ــ ليسوا من هو فَهْمٌ خاطئ، وسبق أن أَوْضحتُ ذلك فيما أصحاب النَّبِيِّ تقدَّم من زعمه أنَّ العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ليسَا من الصحابة، وبهذا الجواب يُجابُ أيضاً عمَّا أُمروا أن يستغفروا)) :فهمه من قول عائشة رضي الله عنها ((فسبُّوهم لأصحاب محمد.

الثالث: أمَّا ما ذَكَره عن ابن عباس من أنَّه يرى جواز لعن معاوية، وأنَّ من أسباب ذلك أنَّه يعتبره غير صحابي، فجوابه أن يُقال:

1 ـ إنَّ ابنَ عباس رضي الله عنه أيضاً قال فيه المالكي إنَّه ليس بصحابي كما قال في أبيه العباس، وقد مرَّ بيان ذلك.

2 ـ إنَّ ابنَ عباس رضي الله عنه أثنى على معاوية رضي الله عنه ووصفه بأنَّه فقيه، وأنَّه صَحِبَ رسولَ الله ففي صحيح ، البخاري (3764) بإسناده إلى ابن أبي مُليكة قال :أوتر معاويةُ)) بعد العشاء بركعة وعنده مولًى لابن عباس، فأتى ابنَ عباس، فقال: دَعْه؛ فإنَّه قد صحب رسول الله ((.

وفي صحيح البخاري أيضاً (3765) بإسناده إلى ابن أبي مليكة أنَّه قال: ((قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنَّه ما أوتر إلاَّ بواحدة؟ قال: إنَّه فقيه)).

3 ـ إنَّ ابنَ عباس لَم يلعن معاوية رضي الله عنه، ولَم يرَ جوازَ

لعنِه، بل الذي حصل منه الثناء عليه ومدحه، وأمَّا الأثر الذي استند عليه في ذلك وعزاه إلى المسند بتحقيق أحمد شاكر، فهو في المسند هكذا، قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا أيوب، قال: لا أدري أَسمعتُه من سعيد بن جُبير أم نُبِّئتُه عنه، قال: ((أتيتُ على ابنِ عباس بعرفة وهو يأكل رُمَّاناً، فقال: أفطر رسول الله بعرفة، وبعثتْ إليه أمُّ الفضل بلَبَنٍ فشرِبَه، وقال: لعن الله فلاناً؛ عمَدوا إلى أعظم أيَّام الحجِّ فَمَحَوْا زينَتَه، وإنَّما زينة الحجِّ التلبية)).

وقد ضعَّفه الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ فقال: ((إسناده ضعيف؛ لشكِّ أيوب في سماعه من سعيد بن جُبير))، وقد اطَّلع على هذا التضعيف المالكي.

وقد عاش ابن عباس بعد معاوية ثمان سنين، فلو صحَّ الأثر احتمل أن يكون الذي عناه ابنُ عباس غيرَ معاوية رضي الله عنه؛ لأنَّ اللَّعنَ فيه بالإبهام وليس بالتعيين.

مُفطراً بعرفة وشربه اللَّبن وما جاء في الأثر من كون النَّبِيِّ الذي بعثت به أمُّ الفضل فهو ثابت.

4 ـ أمَّا قول المالكي: ((وقد كان يلعن معاويةَ كثيرٌ من المهاجرين السابقين والأنصار، كعلي وعمار وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم))، فلَم يذكر مستندَه في ذلك، وإن كان له مستندٌ فالغالب أنَّه من جنس مستندِه فيما أضافه إلى ابن عباس، وقد بيَّنتُ فسادَه.

5 ـ وأمَّا قوله: وقد ذهب إلى جواز لعنه من العلماء المتأخِّرين محمد بن عقيل ـ وهو عالم سُنِّي! ـ في كتابه النصائح الكافية!!))، فأقول: إنَّ ابنَ عقيل الذي ذكره هو الحضرمي المتوفى سنة (1350هـ)، وهو ليس من أهل السُّنَّة، بل هو من المبتدِعة، وقد ذكر صاحب معجم المؤلفين (10/297) في مصادر ترجمته كتاب أعيان الشيعة للعاملي، والضرر الذي حصل للمالكي إنَّما حصل

له بقراءة كُتب هذا الرَّجل وأمثاله من أهل البدع والضلال، وكتابه الذي أشار إليه اسمه ((النصائح الكافية لِمَن يتولَّى معاوية)) ومقتضى عنوان هذا الكتاب ومضمونه زعم النُّصح لِمَن يحبُّ معاوية ألاَّ يحبَّه، بل عليه أن يُبغضَه، وهذا النُّصحُ هو من جنس نصح إبليس لآدم وحواء ـ عليهما السلام ــ الذي ذكره الله عنه بقوله: {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}، ومن جنس نصح الذي ذكره الله عنهم بقوله: {وَإِنَّا لَهُ إخوة يوسف ليوسف لَنَاصِحُونَ}، وقد أشار إلى ما أودعه في نصائحه الكافية وغيره من كتبه من ذمٍّ بعضِ الصحابة والنَّيلِ منهم في مطلع كتابه ((العتب الجميل)) (ص:31)، فقال: ((لَم أتعرَّض في كتابي هذا لذكر تحامل بعضهم على عالي مقام مولانا أمير المؤمنين علي والحسنين وأمهما البَتول عليهم سلام الله، ولا لرَدِّ ما مدحوا به زوراً عدوَّهم معاوية وأباه كهف المنافقين وأمه آكلة الأكباد وعمرا بن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وأبا الأعور السلمي والوليد بن عقبة وأضرابهم، مِمَّن لو مُزجت مياه البحار بذرَّة من كبائر فظائعهم لأنتنت، وذلك لظهور فساده للعاقل المنصف، ولأنِّي قد ذكرتُ شيئاً من ذلك في كتاب (النصائح الكافية)، ثمَّ في كتاب (تقوية الإيمان) ...)).

فهذا نموذج من كلام هذا الناصح بزعمه، الذي ابتُلي المالكي بقبول نُصحه، وفي الصحابة الذين سمَّاهم المغيرة بن شعبة، وهو من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم: {لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}، وأخبر النَّبِيُّ أنَّهم لا يدخلون النار، كما سيأتي بيان ذلك عند ذكر المالكي المغيرة بن شعبة والنَّيل منه.

6 ـ في النسخة التي اطَّلعتُ عليها من كتاب المالكي قد شُطب

بالقلم على جملة: ((وقد كان يلعن معاويةَ كثيرٌ من المهاجرين السابقين والأنصار)) إلى ((وهو عالم سُنِّي في كتابه النصائح

الكافية))، ولا أدري هل هـذا الشـطب مقصـود أو غيـر مقصـود؟ وهل هو من المالكي أو من غيره؟

فإن كان الشَّطب مقصوداً وهو من المالكي فهو حسن، وكـان ينبغي له أن يشطب على الكتاب من أوَّله إلى آخره؛ لأنَّ كـلَّ مـا فيه باطلٌ، وليس فيه شيءٌ من الحقِّ، وهو حقيق بالإحراق.

وقد نقل ابن عقيل الحضرمي قدوة المالكي في كتـابه العتـب الجميل (ص:60) أبياتاً عن أحد شيوخه، آخرها قوله:

قُلامة من ظفر إبهامه تعدل من مثل البخاري مئة

والضمير فيه يرجع إلى الإمام جعفر الصادق رحمـه اللـه، وهـو واضحٌ في الغلوِّ فيه، وفي الجفاء في الإمام البخاري رحمـه اللـه، ولقد أحسن أبو سليمان الخطابي في قوله:

ولا تغْلُ في شيء من الأمر واقتصِد كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

وهذا الذي حصل لابن عقيل من الغلـوِّ والجفـاء قـد ورثَـه عـن شيخه وأمثاله، وورثه المالكي عنهما وعـن أمثالهمـا، وهـو يُوَضِّـح أنَّ البلاءَ الذي يحصل للتلاميذ غالباً إنَّما هـو مـن شـيوخهم، فـابن عقيل ابتلي بمتابعة شيخه وأمثاله فـي الجفـاء والغلـوِّ، والمـالكي تتلمذ على كتب ابن عقيل وأمثالها، وقد يكون تتلمذ مباشرة على علماء من أهل الضـلال، فمِـن أجـل ذلـك كـان فـي كلامـه ورأيـه منحرفاً عـن عقيـدة أهـل السُّـنَّة والجماعـة الصـافية النَّقيَّـة إلـى عقائد أهل البدع والضلال، نعوذ ?الله من الخذلان.

الرابع: ما ذكره من أنَّه لَم يجد نصًّا عن معاوية يَدَّعي أنَّـه مـن قد نقضه بعده بقوله بأنَّه قد ثبت أنَّه يقول أصحاب رسول الله: وقول معاوية ذلك جاء فـي صـحيح ،((قد صحِبنا رسول الله)) إنَّكم لتُصلُّون صـلاةً لقـد)) :البخاري (3766) بإسناده إليه قال فمـا رأينـاه يُصـلِّيها، ولقـد نهـى عنهمـا، يعنـي ، صَـحِبنا النَّبِـيَّ

الركعتين بعد العصر)).

وقول المالكي: ((وإن كان قد ثبت عنه أنَّه يقول: (صحبنا) رسول الله ﷺ فيقصدُ الصُّحبة العامة لا الشرعيَّة، فإن قصد الشرعيَّةَ فقوله مردود بالكتاب والسنَّة))، وهذا مِمَّا يَعجبُ منه العُقلاء؛ لأنَّ نفيَ الصُّحبةِ عن كلِّ مَن كان بعد الحُديبية ومنهم معاوية رضي الله عنه، بل والعباس وابنه عبد الله وأبو هريرة وخالد بن الوليد وأبو موسى الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم شذوذٌ عن سبيل المؤمنين لَم يسبقه إليه أحد، وما ذكره من أنَّ معاويةَ (إن قصد الصُّحبة الشرعيَّةَ فقوله مردود بالكتاب والسنَّة)، أقول: ليس في الكتاب والسنَّة دليل على نفي الصُّحبة عن معاوية، وما أورده من أدلَّة ففهمُه فيها فهمٌ خاطئ، وهو من مُحدثات القرن الخامس عشر، وقد بيَّنتُ ذلك فيما سبق.

وأمَّا الأثر، ففي إسناده عنعنة الأعمش عن أبي صالح، وهومدلِّس، وكلام كعب فيه منكر، وما جاء فيه من ذكر أصحاب رسول الله ﷺ ـ لو ثبت ـ لا يدلُّ على خروج معاوية منهم كما زعم بقوله: ((وهذا الأثر دليل على أنَّه لَم يكن يرى نفسَه منهم)).

تنبيه: روى الخطيب في تاريخ بغداد (1/209) بإسناده إلى رباح بن الجراح الموصلي قال: ((سمعتُ رجلاً يسأل المعافى بن عمران، فقال: يا أبا مسعودأين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال: لا يُقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ، معاوية صاحبه وصِهرُه وكاتبه وأمينه على وحي الله عزَّ وجلَّ)).

وروى (1/209) بإسناده إلى أبي توبة الربيع بن نافع قال: ((معاوية ابن أبي سفيان ستر أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا كَشف الرَّجلُ السِّتْرَ اجترأ على ما وراءه)).

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق (59/209) بإسناده إلى

عبد الله ابن المبارك أنَّه قال: ((معاوية عندنا مِحنة، فمَن رأينـاه ينظر إليه شزَراً اتَّهمناه على القوم، يعني الصحابة)).

هذه ثلاثة نماذج من كلام أهل الإنصاف في معاوية رضـي اللـه عنه، وقد ذكرتُ جملةً من كلام المنصفين فيما كتبته عـن معاويـة رضـي اللـه عنـه، وطُبـع بعنـوان: ((مـن أقـوال المنصـفين فـي الصحابيِّ الخليفة معاوية رضي الله عنه)).

وصدق أبو توبة وابن المبارك رحمهما الله؛ فـإنَّ المـالكيَّ لَمَّـا تَجرَّأ على معاوية ونال منه ونفى عنه الصُّحبة، تجـرَّأ علـى غيـرِه بعـد صُـلح وقال بنفي الصُّحبة عن كلِّ الذين صحِبوا رسول الله الحُديبية، بل تعـدَّى ذلـك إلـى النَّيـل مـن خلافـة أبـي بكـر وعمـر وعثمان والتشكيك فيها، ولا شكَّ أنَّ الزَّيغَ ينتج عنه إزاغة القلوب لقول الله عزَّ وجـلَّ: {فَلَمَّـا زَاغُـوا أَزَاغَ اللـه قُلُـوبَهُمْ}، وإنَّ مـن العقوبة على السيِّئة أن يُبتلَى المسيئُ بسيِّئة بعدها، كمـا أنَّ مـن الثواب على الحسنة أن يُوفَّق المُحسنُ لحسنةٍ بعدها.

وأحاديث معاوية رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهمـا، قـال الخزرجـي فـي الخلاصـة: ((لـه ــ أي فـي الكتـب السـتة ــ مئـة وثلاثون حديثاً، اتَّفقا على أربعة، وانفرد البخـاري بأربعـة، ومسـلم بخمسة))، وقد بلغت أحاديثه في مسند الإمام أحمـد أحـد عشـر حديثاً ومئة حديث من رقم (16828) إلى (16938).

* * *

زعمه أنَّ عمرو بن العاص والمغيرة بن شـعبة رضـي الله عنهما ليسَا من الصحابة والرد عليه:

سيتبع هذا البحـث بحوثـاً (كـذا))) :قال في حاشية (ص:78) لكن أُخِذَت عليه مآخـذ كـبيرة ، موسَّعة عن بعض مَن رأى النَّبِيَّ ((أو صغيرة)).

فذكر أمثلة من هؤلاء، ثمَّ قال: ((وسيكون هناك أيضاً مبـاحث عن المختلف فيهم كمعاوية وعمرو بن العاص والمغيـرة ونحـوهم

))، وقد جاء ذكر عمرو بن العـاص وأنَّـه ليـس مـن الصـحابة فـي كلام المالكي المتقدِّم
في خالد بن الوليد، وجاء ذمُّه وذمُّ المغيرة بـن شـعبة فـي كلامـه المتقدِّم في معاوية.

ويُجاب عن ذلك بما يلي:

أولاً: لا أعلمُ أنَّ أحداً قال بعدم صُحبة هؤلاء الثلاثة رضي اللــه ولا خالف في أنَّهم صـحابة إلاَّ هـذا المـالكي ،عنهم لرسول الله الذي اعتبر أنَّ الصـحابةَ هـم الأنصـار والمهـاجرون قبـل الحُديبيـة فقط، وكذا الحكمي الذي حكى عنه المـالكي أنَّـه يقصـر الصـحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحُديبية، والمغيـرة قبـل الحُديبيـة، فلا أدري هل الحكمي يُخرجه من الصُّحبة كما أخرجه المـالكي أم لا؟

وسبق أن ذكرتُ أنَّ هذا من مُحدثات القـرن الخـامس عشـر، بل إنَّ بعضَ فِرَق الضـلال الـتي ابتُليـت ببغـض الصـحابة وسـبِّهم وإنَّمـا ،وتفسيقهم أو تكفيرهم لَم يقولـوا بعـدم صُـحبتِهم للنَّبِـيِّ قالوا بارتدادهم بعد رسول الله.

ثانيـاً: تقـدَّم نقـلُ جملـة مـن كلامـه السـيِّئ القبيـح فـي أميـر المؤمنين معاوية رضي الله عنه والجواب عنه.

ثالثاً: أمَّا عمرو بن العاص رضي الله عنه، فهو صـاحب رسـول الله وأميره على أحد الجيوش، ويدلُّ لفضله ما يلي:

1 ـ روى البخاري في صحيحه (3662) بإسناده إلى عمرو بـن العاص: ((أنَّ النَّبِيَّ بعثـه علـى جيـش ذات السَّلاسـل، فـأتيتُه فقلت: أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، فقلتُ: مِـن الرِّجـال؟ قال: أبوها، قلتُ: ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ عمر بن الخطاب، فعـدَّ رجـالاً)).

أورده البخاري في مناقب أبي بكـر رضـي اللـه عنـه، وأورده (358) في باب غزوة ذات السلاسل، ورواه مسلم في صـحيحه (

2384) وقد كان في الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال الحافظ ابـن حجـر فـي شـرحه فـي بـاب غـزوة ذات السلاسـل: ((وفي الحـديث جـوازُ تـأمير المفضـول علـى الفاضـل إذا امتـاز المفضول بصفةٍ تتعلَّق بتلك الولاية، ومزيَّةُ أبي بكر علـى الرجـال وبنتِه على النساء، وقد تقدَّمت الإشارةُ إلـى ذلـك فـي المنـاقب، ومنقبةٌ لعَمرو بن العاص لتأميره على جيشٍ فيهم أبو بكر وعمـر، وإن كان لا يقتضي أفضليَّته عليهم، لكن يقتضي أنَّ له فضـلاً فـي الجملة)).

أمَّر على هذا الجيش الذي فيه أبـو بكـر أقول: أَفَيَكُونُ النَّبِيُّ كما هو مقتضى كلام المالكي؟ ، وعمر رجلاً ليس من أصحابه!

2 ـ روى مسلم في صحيحه (192) بإسناده إلى عبد الرحمـن بن شماسة المهري قال: ((حَضَرْنا عمـرو بـنَ العـاص وهـو فـي سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعـل ابنُـه يقول: يا أبتاه! أمَا بشَّرك رسولُ الله بكذا؟ أمـا بشَّـرك رسـولُ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إنَّ أفضلَ ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، إنِّي كنتُ على أطباقٍ ثلاث، منِّـي، ولا أحـب إلَـيَّ لقد رأيتُنِي وما أحدٌ أشدَّ بُغضاً لرسول الله أن أكون قد اسـتمكنتُ منـه فقتلتُـه، فلـو مِـتُّ علـى تلـك الحـال لكنتُ من أهل النار، فلمَّا جعل الله الإسلامَ في قلبي، أتيتُ النَّبِيَّ فقلت: ابسُـط يَمينَـك فلأُبايِعـكَ، فبسـط يَمينَـه، قـال: فقبضـتُ يدي، قال: ما لك يا عَمرو؟ قال: قلت: أردتُ أن أشـترطَ، فقـال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يُغفرَ لـي، قـال: أمـا علمـتَ أنَّ الإسـلامَ يَهدِم ما كان قبلـه، وأنَّ الهجـرةَ تَهـدِم مـا كـان قبلهـا، وأنَّ الحـجَّ يَهدِمُ ما كان قبله؟

ولا أجـلَّ فـي عِينِـي وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسـول اللـه منه، وما كنت أُطيقُ أن أملأ عيني منـه إجلالاً لـه، ولـو سُـئلتُ أن أَصِفَه ما أطقتُ؛ لأنِّي لَم أكن أملأُ عيني منه، ولو مِتُّ علـى تلـك الحال لرجوتُ أن أكون من أهل الجنَّة، ثمَّ وَلِينا أشياء ما أدري ما

حالي فيها، فإذا أنا مِتُّ فلا تصحبْنِي نائحةٌ ولا نار ...)).

والحديثُ مشتمِلٌ على جُمل دالَّة على فضل عَمرو بن العـاص رضي الله عنه، وما جاء فيـه مـن بُكـائه ليـس عيبـاً فيـه؛ فشـأنُ أولياء الله أنَّهم يخافون الله ويرجونه، وقـد جـاء عـن بعـض أهـل العلم أنَّ الخـوفَ والرَّجـاء للمـؤمن بمنزلـة الجنـاحَين للطـائر، لا يكون راجياً فقط ولا يكون خائفـاً فقـط، بـل يكـون راجيـاً خائفـاً، ومن صفات أولياء الله في الكتـاب العزيـز مـا ذكـره اللـه عنهـم بقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْتَـوْنَ مَـا آتَـوْا وَقُلُـوبُهُمْ وَجِلَـةٌ أَنَّهُـمْ إِلَـى رَبِّهِـمْ رَاجِعُونَ}.

وأحاديث عمـرو بـن العـاص رضـي اللـه عنـه فـي الصـحيحين وغيرهما، وقد قال الذهبي فـي ترجمتـه فـي سـير أعلام النبلاء (3/55): ((داهيةُ قريش ورجل العالَم، ومَن يُضرب به المَثَل في الفِطْنَة والدَّهاء والحزم، هاجر إلى رسول الله مسلماً في أوائل سنة ثمان، مرافقاً لخالـد بـن الوليـد وحـاجب الكعبـة عثمـان بـن طلحة، ففرح النَّبِيُّ بقدومِهم وإسلامِهم، وأمَّر عَمراً علـى بعـض الجيش، وجهَّزه للغزو، له أحاديث ليست كثيرة، تبلغ بالمكرَّر نحو الأربعين، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منهـا، وانفـرد البخـاري بحديث، ومسلم بحديثَين)).

رابعاً: أمَّـا المغيـرة بـن شـعبة رضـي اللـه عنـه، فهـو صـاحب رسول الله ، ومِمَّن بايَع تحت الشجرة، ويدلُّ لفضله ما يلي:

1 ــ أنَّـه مـن الـذين قـال اللـه فيهـم: {لَقَـدْ رَضِـيَ اللـه عَـنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}.

وقال فيهم رسول الله : ((لا يدخل النـارَ إن شـاء اللـه مـن أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتهـا)) أخرجـه مسـلم فـي صحيحه (2496) من حديث أمِّ مُبشِّر رضي الله عنها، ويبيِّن كونه من أهل بيعة الرِّضوان حديث المِسـوَر بـن مخرمـة ومـروان بـن الحكم في صحيح البخاري (2731، 2732) في صلح الحُديبية: ((

فكلَّم ا تكلَّـم ، وجعل (أي عروة بن مسعود الثقفي) يُكلِّـم النَّبِـيَّ كلمةً أخذ بلِحيتِـه، والمغيـرة بـن شـعبة قـائمٌ علـى رأس النَّبِـيِّ ومعه السَّيف وعليه المِغفر، فكلَّما أهـوى عُـروة بيـده إلـى لِحيـة ضرب يدَه بنعل السيف، وقـال لـه: أخِّـر يـدَك عـن لِحيـة النَّبِيِّ رسول الله)).

2)) :ـ وفي صحيح البخاري (3159) عن جُبير بـن حيَّـة قـال بعث عمرُ الناسَ في أفناء الأمصار يقاتلون المشـركين ... فنَـدَبَنا عمر (أي لقتال الفرس)، واستعمل علينا النُّعمان بن مقرِّن، حتى إذا كنَّا بأرض العدوِّ وخرج علينا عامـلُ كسـرى فـي أربعيـن ألفـاً، فقام ترجمان فقال: لِيُكلِّمنِي رجـلٌ منكـم، فقـال المغيـرةُ: سَـلْ عمَّا شئتَ، قال: ما أنتم؟ قال: نحن أنـاسٌ مـن العـرب، كنَّـا فـي شقاء شديد وبلاء شديد، نَمُصُّ الجِلدَ والنَّوى مـن الجـوع، ونلبـسُ الوَبَر والشَّعر، ونعبدُ الشَّجر والحَجَرَ، فبينا نحن كذلك إذ بعث ربُّ السموات وربُّ الأرضين تعالى ذِكرُه وجلَّت عظمتُه إلينا نبيًّـا مـن أن نُقـاتِلَكم أنفسنا، نعرفُ أباه وأمَّـه، فأمرنـا نبيُّنـا رسـولُ ربِّنـا حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدُّوا الجِزيَةَ، وأخبرنا عن رسالة ربِّنا أنَّه مَن قُتل منَّا صار إلى الجنَّة في نعيم لَم ير مثلَها قطُّ، ومَـن بقـي مِنَّا مَلَكَ رِقابَكم)).

أقول: الله اكبر! ما أحسن هذا الكلام، وما أعظمَه، وما أجزلَه! وهو صادرٌ عن قوَّة إيمان، وبهذه القوَّة انتصر الصحابةُ رضي الله عنهم ومَن سار على نهجِهم، وحصلت العِزَّةُ للإسلام والمسلمين، وهذا الكلام بمنطق القوَّة والشجاعة، ومع الأسـف نجـد فـي هـذا الزمان كثيراً مـن الإسـلاميِّين يتكلَّمـون بمنطـق الضَّـعف والذِّلَّـة، فيقولون: إنَّ الجهادَ إنَّما شُرع فـي الإسـلام للـدِّفاع فقـط، واللـه بُعثـتُ بيـن يـدي السـاعة)) : المسـتعان، وقـد قـال الرسـول بالسَّيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رِزقي تحت ظِلِّ رُمْحِي، وجُعل الذُّلُّ والصَّغارُ على مَن خـالف أمـري، ومـن تشـبَّه أخرجه الإمام أحمد في مسـنده (2/50ـ 92) ((بقومٍ فهو منهم

من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو حـديث ثـابت، رجاله مُحتجٌّ بهم، وقد شرحه الحافظ ابن رجب فـي جـزء لطيـف مطبوع بعنـوان: ((الحِكَـم الجـديرة بالإشـاعة فـي شـرح حـديث بُعثت بين يدي الساعة)).

3 ـ وكان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أميراً على الكوفة، وتـوفي سـنة (50هــ)، وقـد روى البخـاري فـي صـحيحه (58) بإسناده إلى زياد بن عِلاَقَة قال: ((سمعتُ جريـر بـن عبـد اللـه يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، قـام فحمِـد اللـه وأثنـى عليـه، وقال: عليكم باتِّقاء الله وحـده لا شـريك لـه، والوَقـار والسَّـكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنَّما يأتيكم الآن، ثـمَّ قـال: اسـتعفوا لأميرِكـم؛ قلـتُ: فإنَّه كان يُحبُّ العفوَ، ثمَّ قال: أمَّا بعد، فإنِّي أتيـتُ النَّبِـيَّ أُبايِعُك على الإسلام، فشرط عليَّ: والنُّصح لكـلِّ مسـلم، فبـايعتُه على هذا، وربِّ هذا المسجد! إنِّي لناصحٌ لكم، ثـمَّ اسـتغفَرَ ونـزل)).

وهذا الكلام من جرير رضي الله عنه لأهل الكوفـة فيـه وَصْـفُ المغيرة رضي الله عنه بالأمير وثناؤه عليه، وبيان أنَّ مقالتَه هـذه هي من النُّصح للمسلمين، الذي بايع عليه رسول الله.

هذه بعضُ فضائل المغيرة بن شـعبة، وأهمُّهـا كـونه مِمَّـن بـايَع تحت الشجرة، ومع هذا لا يُسلِّم المالكيُّ بأنَّ المغيرة رضـي اللـه مـع أنَّ رأيَـه المبتَكـر فـي عنه ظفر بشرف صُحبة رسول اللـه ، القـرن الخـامس عشـر هـو قَصْـر الصُّـحبة المحمـود أهلهـا علـى المهاجرين والأنصار قبل صلح الحُديبية، والمغيرة من هؤلاء، لكـن مصيبة المغيرة عند المالكي كونه أميراً لمعاوية رضي اللـه عنـه، فلذلك لَم تشفع له عنده هذه الفضائل، وقـد وعـد بكتابـة بحـوث موَسَّعة عنه وعن أمثاله، أي من وِجهته المنحرفـة عـن الصـحابة، وهو وعْدٌ بباطل يجبُ إخلافُه.

وأحاديث المغيرة بـن شـعبة رضـي اللـه عنـه فـي الصـحيحين

وغيرِهما، قال الخزرجي في الخلاصة: ((شهد الحُديبية، وأسلم زمن الخندق، له ــ أي في الكتب الستة ــ مئة وستة وثلاثون حديثاً، اتَّفقا على تسعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين.

* * *

لغوية لا زعمه أنَّ صُحبةَ الكثيرين من أصحاب النَّبِيِّ شرعية والرد عليه:

قال في (ص:56):ـ ((قد يورد البعضُ على ما سبق بعضَ الاعتراضات، وهذا من حقِّ كلِّ مَن قرأ البحثَ أو سمع به، كما أنَّه من حقِّنا أن نبيِّن رأينا في هذه الاعتراضات، سواء كانت بحقٍّ أم بغيره، ومن تلك الاعتراضات:

1 ـ قد يقول البعض: ما دام أنَّ اللغة واسعةٌ ويجوز فيها أن تطلق الصحابي أو الصاحب على من صحب ولو صحبة يسيرة، فلماذا التضييق في الأمر؟

الجواب: نحن للأسف تجاوزنا مسألة اللغة نفسها، فأصبحنا نطلق الصاحب على من رأى وليس على من صحب، فهذا أوَّلاً.

ثانياً: سبق أن كرَّرنا أننا لا نُمانع من إطلاق الصحبة إذا أريد بها مطلق الصحبة، لكن هذا الإطلاق جائز في الكفَّار والمنافقين أيضاً، بمعنى أنَّ المنافقين يدخلون في الصحبة من حيث اللغة كما أنَّ الكفَّار يدخلون كذلك، فاللغة تحتمل ذلك، ولذلك نحن ذكرنا أنَّ الصُّحبةَ الشرعيَّة فقط هي التي تقول: إنَّه لا يجوز أن تطلق على المسلمين بعد فتح مكة حتى ولو رأوا النَّبِيَّ وصَحبوه؛ لأنَّهم وإن كانوا صحابة لغة، وقد يكون بعضُهم صحابةً من حيث العُرف، لكنَّهم ليسوا صحابةً من الناحية الشرعية)).

ويُجاب عن ذلك بما يلي:

أوَّلاً: أنَّ اعتبارَ الصُّحبة اليسيرة للنَّبِيِّ ، بل ومجرَّد الرؤية

كافٍ لعَدِّ مَن حصل لـه ذلـك صـحابيًّا، وسـبق ذِكـرُ الأدلَّـة للنَّبِيِّ صـحابيًّا فـي أوَّل هـذا الـردِّ، منهـا الدَّالة على اعتبـار مَـن لقيـه الدليل السـادس والثـامن والرابـع عشـر الـتي فيهـا النـص علـى صحابيًّا اعتبار مَن رآه.

ثانياً: ما ذكره مِن أنَّ الصُّحبةَ الشرعيَّة لا يجوز أن تُطلَق علـى المسلمين بعد فتح مكـة حـتى ولـو رأوا النَّبِـيَّ وصـحبوه ... إلـخ، أقول: لَم يقتصِر على نفي الصُّحبة الشرعية المحمود أهلها علـى مَن أسلم بعد فتح مكة، بل تعدَّى ذلك إلى نفي الصُّحبة الشرعية كما ذكــر ، عن الذين أسلموا بعد الحديبية وهاجروا إليه وصحِبوه ذلك في تعريف الصحابيِّ الذي ذكره في أوَّل رسالته، وذكر ذلـك أيضاً في آخرها، وأثنائها، وسـبقت الإجابـةُ عـن ذلـك فيمـا مضـى مراراً.

ثالثاً: ما ذكره من أنَّ مَن أُضيفت إليه الصُحبة وليست صـحبتُه شرعية، أنَّ صحبتَه شبيهةٌ بصُحبة الكفار المنافقين، أقـول: سـبق كـانت مـع أن بيَّنتُ فـي أوَّل هـذا الـرَّدِّ أنَّ صُـحبةَ هـؤلاء للنَّبِـيِّ وهـذا خلاف صـحبة المنـافقين ، الإيمـان بـه وتصـديقه واتِّبـاعه والكفار، وبناءً على هذا أقول: أيَجوز في عقل ودين أن تكون تلك بعد الحديبية إلى حيـن الألوف الكثيرةُ مِمَّن أسلم وصحِب النَّبِيَّ أن تكـون صُـحبتُهم كصـحبةِ الكفـار والمنـافقين، وفيهـم وفـاته وابنه عبد اللـه وخالـد بـن الوليـد وعمـرو بـن العباس عم النَّبِيِّ العاص ومعاوية، بـل والمغيـرة بـن شـعبة ــ وهـو مـن أهـل بيعـة الرضوان ـ رضـي اللـه عنهـم جميعـاً؟! وسـبق للمـالكيِّ أن نفـى ونقلـتُ كلامَـه فـي ذلـك ورددتُ عليـه فيمـا ، صُحبتَهم للرسول مضى.

رابعاً: قوله في أول كلامه: ((كما أنَّه من حقِّنـا أن نـبيِّن رأينـا في هذه الاعتراضات، سـواء كـانت بحـقٍّ أم بغيـره))، أقـول: إذا كانت الاعتراضات بحقٍّ، فإنَّ الإجابةَ عليها بغير الرجوع والتسـليم

من المجادلة بالباطل.

* * *

فهمه الخاطئ للصُّحبة الشرعيَّة والرد عليه:

وقال في (ص:57 ــ 59):ـ ((ـ 2 ــ وماذا تعنِي بالصُّحبة الشرعية؟ وهل سبقك أحدٌ إلى هذا المُسمَّى؟

الجواب: الصُّحبة الشرعية هي تلك الصُّحبة التي أثنى عليها جزماً، ونزلت الآيات في وصفِها، وكانت أيَّام الله ورسولُه الضَّعف والذِّلَّة، أيَّام حاجة الإسلام والنَّبِيّ إلى النُّصرة، تلك الصُّحبة التي إن ورد الثناء على الأصحاب أو الأمر بعدم سبِّهم أو الأمر باقتداء بهم فلا تنصرف هذه المعاني إلاَّ للصُّحبة الشرعية، وهذا لا يعنِي عدم الثناء على الصالحين في أيِّ زمن، وإنَّما يعني احترام خصوصية السابقين الذين فضَّلهم الله ورسولُه وهم المهاجرون والأنصار.

أمَّا هل سبقنِي أحدٌ إلى هذه التسمية، فهذا سؤال له جوابان: عام وخاص:

أمَّا العام: فهناك كثيرٌ من المصطلحات أعطاها الشرعُ دلالةً خاصَّة غير دلالتها الأولى، وعلى سبيل المثال مصطلحات الزكاة والصلاة والحج، فمعانيها من حيث اللغة الطهارة أو التطهُّر والدعاء والقصد ... لكن الإسلام بنصوص الكتاب والسنة قد أعطى هذه المعاني دلالات أخرى
مع عدم نفي الدلالات السابقة، فالحجُّ قصدٌ لكن إلى بيت الله الحرام
لأداء شعائر معيَّنة، والزكاة تُطهِّر مالَ المزكى وتطَهِّر المزَكِّي من الإثم، ونحو هذا.

بمعنى أنَّ الشرعَ يضيف تقييدات على المصطلحات العامة ليُصبح
لها مدلولاً شرعيًّا مقيَّداً (كذا) بعد أن كان المدلول مشتركاً لفظيًّا

) :ﷺ أو يكثر فيه المجازات اللغوية، فكذلك الصُّحبة، إذا قال النَّبِيُّ عرفنا أنَّ كلمة (أصحابي) في هذا الحديث (... لا تسبُّوا أصحابي لا تعنِـي إلاَّ السـابقين مـن المهـاجرين أو الأنصـار؛ بدلالـة أنَّ المخاطب صحابي تأخر إسلامه إلى بعد الحديبية، وهو يدخل فـي الخطاب بطريق الأولى، وكذلك إذا وجدنا آيـةً تُثنـي علـى (الـذين فلا تنصـرف إلاَّ إلـى الصُّـحبة ،ﷺ معـه) أي الـذين مـع الرسـول الشرعية؛ بدلالة الآيـات الأخـرى الـتي تقتصـر علـى (المهـاجرين والأنصار)، وهذا يعنِي أنَّ كلمة (الذين معه) كلمة مُجملة مفسـرة بـ (المهاجرين والأنصار)، والقرآن مفسِّرٌ بعضه بعضاً.

وأمَّا الجواب الخاص: نعم! قد سـبقنِي بعـضُ البـاحثين لإطلاق هذا، ومع ذلك فلا أطلب من أحدٍ أن يلتزم بهذا الإطلاق (الصُّـحبة الشرعية)، لكن عليه إن أثنى على الصحابة ألاَّ ينزل هذا الثناء إلاَّ على مَن أنزله الله ورسوله عليه من المهاجرين والأنصـار فقـط، أمَّا أن يأتي وينزل الآيـات والأحـاديث فـي فضـل بيعـة الرضـوان على الطلقاء أو مَن بعدهم فهذا خلاف المنهج العلمي.

وقد سبقنِي لكن بألفاظ مقاربة بعـضُ العلمـاء، منهـم إبراهيـم النخعي وابـن عبـد الـبر، ومـن المعاصـرين الشـيخ عبـد الرحمـن الحكمي، فهو يرى أنَّ مَن أسلم بعد بيعة الرضـوان لا يـدخل فـي مسمى الصحابة، وعنده بحث في الموضوع عندي نسخة منه.

ثمَّ أقول: مَن سبقكم إلى اعتبـار الآيـات الكريمـة الـتي وردت في حقِّ المهـاجرين والأنصـار، مـن سـبقكم إلـى اعتبارهـا نازلـة فيمَن بعدهم؟!

ثمَّ لا يُشترط أن يسبق فـي الموضـوع أحـدٌ مـا دام للموضـوع أدلَّتـه وبراهينـه، فينطلـق النَّقـد علـى تلـك الـبراهين والأدلـة، ولا ينطلق على غير ذلك، وكلمة (مَن سبقك) ليس دليلاً؛ فقد أطلــق المتأخرون ألفاظاً أو مصطلحات لَم تكـن موجـودة فيهـم قبلهـم، مثل التفسير والتجويد والمصطلح نفسه وأصـول الفقـه والخـاص

والعام والمطلق والمقيد ونحو ذلك من الألفاظ التي لَم تكن ولا القرن الأول موجودة في عهد النَّبِيِّ)).

ويُجاب عن إجابته عن هذا الاعتراض الذي أورده على نفسه بما يلي:

أولاً: ما أشار إليه من الأدِلَّة الدَّالَّةِ على الثناءِ على المهاجرين والأنصار، فذلك حقٌّ وهم أهل ذلك الفضل، لكن ذلك لا ينفي أن يكون غيرُهم من أهل الفضل.

ثانياً: ما أشار إليه من أدلَّة عامَّة فيها الثناء على الذين كانوا وأنَّها محمولةٌ على المهاجرين والأنصار فقط غير ، مع النَّبِيِّ صحيح؛ بل هي تشمل المهاجرين والأنصار وغيرهم مِمَّن جاء بعدهم، والمهاجرون والأنصار داخلون فيها دخولاً أوَّليًّا، ولا يجوز للمالكيِّ أن يَحقِدَ على أحدٍ من الصحابةِ، ولا أن يَحملَه الحِقدُ على كثير من الصحابة كالطُّلقاء أن يَجعلَ ما ورد عامًّا لجميع الصحابة خاصًّا بالمهاجرين والأنصار.

ثالثاً: ما ذكره من اللَّوم لِمَن ينزِّل الآيات والأحاديث في فضل بيعة الرِّضوان على الطلقاء أو من بعدهم، أقول: لا يُتصوَّر تنزيل قول الله عزَّ وجلَّ: {لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} مثلاً على أحدٍ سواهم من الطلقاء وغيرهم، كما أنَّ الفضائلَ الخاصَّة بأهل بدر لا تُنزَّل على مَن سواهم، لكنَّه التهويل من هذا المالكي هداه الله.

رابعاً: ما أشار إليه من أنَّ كثيراً من المصطلحات أعطاها الشرعُ دلالةً خاصَّةً غير دلالتها الأولى، أقول: نعم! الأمر كذلك، لكن لا يجوز أن يُفهم فهمٌ خاطئ بقَصْر الصُّحبة المحمود أهلها على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية وإضافة ذلك إلى الشرع، كما فعل المالكي؛ فإنَّ الصُّحبةَ في اللغة عامَّةٌ تشملُ القليلَ والكثيرَ، وتشمل المؤمنين والمنافقين والكفار، ولكن صُحبة قد جاء الشرع بقصْرها على مَن آمن به واتَّبعه مِمَّن الرسول

لقيه وصحبه، وسبق أن مرَّ في الأدلة في أوَّل هذا الرَّدِّ ما يوضح ذلك.

خامساً: ما ذكره من أنَّ الصُّحبةَ حيث وردت تُقصَر على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية، يُجاب عنه بأنَّ لفظَ الصُّحبة مثل لفظ الإيمان يشترك فيه كلُّ مؤمن ومسلم مع التفاوت الكبير بينهم فيه، وكذلك الصُّحبة يشترك فيها كلُّ صحابيٍّ طالت صُحبتُه أو قصُرت مع التفاوت الكبير بين الصحابة في الفضل، ونظير ذلك في المحسوسات البصر، فإنَّ أهلَه متفاوتون فيه، منهم مَن هو حادُّ البصر يرى الهلال، ويرى من مسافات بعيدة، ويرى الشيءَ الدَّقيق، ومنهم مَن دون ذلك، ومنهم مَن هو ضعيف النَّظر لا يرى إلاَّ الشيءَ القريب والشيء الكبير، ومنهم مَن يُبصرُ الخطَّ الدقيق، ومنهم من لا يُبصر إلاَّ بزجاجة، وهم مشتركون جميعاً في أنَّهم مُبصرون ليسوا من أهل العمى، وسبق أن مرَّ الكلامُ على حديث: ((لا تسبُّوا أصحابي)) عند ذكر المالكي خالد بن الوليد وأنَّه ليس من الصحابة بزعمه.

سادساً: هذا الرأي الفاسد للمالكي وهو قَصْر الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية لَم يَجد له سلفاً فيه خلال ما مضى من قرون مع حِرصِه الشديد على وجود سلف، وقد أعلن إفلاسَه من وجود سلف بقوله هنا بأنَّه سبقه إلى ذلك شخصٌ من المعاصرين، وهو عبد الرحمن الحكمي، أمَّا ما ذكره عن النخعي وابن عبد البر فلَم يذكر كلامَهما حتى يُمكن النَّظر فيه من حيث الثبوت ومن حيث المعنى، وقوله: ((وقد سبقنِي لكن بألفاظ مقاربة بعضُ العلماء، منهم إبراهيم النخعي وابن عبد البر))، أقول: تعبيره بقوله: ((بألفاظ مقاربة)) يدلُّ على عدم اطمئنانه إلى معنى ما عزاه إليهما.

سابعاً: قوله: ((ثمَّ لا يُشترط أن يسبق في الموضوع أحدٌ ما دام للموضوع أدلَّته وبراهينه، فينطلق النَّقد على تلك البراهين والأدلة، ولا ينطلق على غير ذلك))، أقول: كان الأوْلَى بالمالكيِّ

بدلاً من اللُّجوء إلى هذا الكلام عند إفلاسِه أن يتَّهم رأيَـه ويقتـدي ببعض أهل بيعة الرِّضوان الـذين لَـم يرتـاحوا إلـى بعـض شـروط في ذلك، وكانوا فيما بعد يقولون: يـا أيهـا الصُّلح وراجعوا النَّبِيَّ الناس! اتَّهموا الرأي في الدِّين، والأدلَّة التي أشار إليها قد فهمهـا السَّلفُ فهماً صـحيحاً، فلـم يقصـروها علـى المهـاجرين والأنصـار قبل الحديبية، والـواجب الاعتمـاد علـى نصـوص الكتـاب والسـنَّة وفقاً لفهم السلف، وكان الأليقُ بالمـالكي أن يسـتحيي مِـن ذِكـر هذا الرأي الفاسد الذي لَم يسبقه إليه إلاَّ عبد الرحمن الحكمي.

ثامناً: أمَّا ما ذكره من حصول مصطلحات جديـدة تعـود بـالنَّفع على العلم وأهله كعلم الأصـول وعلـم التجويـد وعلـم المصـطلح وغيـر ذلـك، فهـذا شـيءٌ محمـود، وفيـه تيسـير العلـم وتسـهيل الوصول إليه، أمَّا ما ابتلي به المالكي من فهم خـاطئ للنصـوص وقصره الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية فلا علاقـة لـه فـي تلـك المصـطلحات، وإنَّمـا هـو مـن الإحـداث فـي الـدِّين والتنكُّب عن سبيل المؤمنين.

* * *

زعمه أنَّ الإجماعَ لا بـدَّ فيـه مـن اتِّفـاق أمَّـة الإجابـة بفِرَقِها المختلفة والرد عليه:

3 ــ قـد يُقـال: إنَّ تقييـدَك للصـحبة بــ ((:قال في (ص:59) (المهاجرين والأنصار) خلاف الإجماع الذي استقرَّ عليه المحـدثون مؤمناً به ومات على الإسلام فهو اعتبار كل من لقي النَّبِيَّ) من (صحابي)).

وقـد أجـاب عـن هـذا الاعـتراض بنفـي وجـود الإجمـاع، وأورد تساؤلات على هذا الاعتراض، آخرها قوله في (ص:60 ـ 61): ((هل ما استقرَّ عليه المحدِّثون يُعدُّ إجماعاً حتى لو خالف في ذلـك الأصوليُّون؟! بل هل ما أجمع عليه أهلُ السنَّة يُعدُّ إجماعاً معتـبراً أم لا بدَّ من إجماع كل أمَّـة الإجابـة؟! فهـذا سـؤال يحتـاج لبحـث منفصل.

كل هذه الأسئلة بحاجة إلى بتٍّ فيها، ولا يحتمل هذا البحث الإجابة عليها؛ لكون كاتب هذا البحث لَم يبحثها بحثاً يرضى عنه، ولا يريد أن يتكلَّم بما لا يعلم فيقع في المحظور الذي حذَّر منه، وأنا أدعو إخواني للبحث المنصف فقط، أو محاولة ذلك على الأقل، مع التواضع في الاعتراف بالقصور في العلم)).

وعلَّق على قوله: ((فهذا سؤال يحتاج لبحث منفصل)) بقوله: ((لأنَّ أقوى دليل للذين يرون الإجماع هو الحديث المشهور: (لا تجتمع أمَّتي على ضلالة)، والحديث وإن كان فيه كلام من حيث الثبوت، لكن (الأمة) فيه لا تعني بعض الأمة، وإنَّما كل أمة الإجابة، كل المسلمين باختلاف مذاهبهم الفقهية والعقدية والسياسية، ومَن زعم بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أراد من (أمتي) أنَّها تعني المحدثين أو أصحاب المذاهب الأربعة فقد جازف!!...)).

ويُجاب عن ذلك بما يلي:

أوَّلاً: أنَّ تعريف الصحابي بأنَّه مَن رأى النَّبِيَّ ﷺ أو صحبه ثبت بأدلَّة سبق أن أوردتُ جملة منها في أول هذا الرَّد، وذلك كافٍ لاعتبار هذا التعريف، سواء أحصل فيه الإجماع أم لَم يحصل.

ثانياً: أنَّ الإجماعَ منعقدٌ على بطلان الرأي الفاسد للمالكي، وهو قصْره الصُّحبة على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية؛ بدليل أنَّ المالكي لَم يجد له سلفاً في هذا الرأي إلاَّ مَن سَمَّاه: عبد الرحمن الحكمي.

ومِن الذين أخرجهم تعريفُ الصحابي عند المالكي: العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وخالد بن الوليد وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية وغيرهم، وهم صحابة بإجماع العلماء على مختلف العصور، لَم يخالف في ذلك إلاَّ المالكي وقدوته الحكمي!

ثالثاً: إنَّ كلامَه واضحٌ في أنَّ الإجماع لايَتِمُّ إلاَّ باتِّفاق أهل السنَّة والجماعة وسائر فرق الضلال، ومقتضى ذلك نفي وجود

الإجماع أصلاً؛ لأنَّه من المستحيل اتِّفاق أهل السنَّة وأصحاب البدع والأهواء على أمر عقدي، ولا شكَّ أنَّ الذين يُعتبر إجماعهم هم أهل السنَّة والجماعة دون غيرهم من أهل الأهواء، وقد بيَّن عندما ذكر افتراق الأمَّة ـ وهم أمَّة الإجابة ـ ذلك رسول الله على ثلاث وسبعين فرقة ((كلُّها في النار إلاَّ واحدة))، وهم من عليه وأصحابُه، فبيَّن أنَّ هؤلاء هم كان على ما كان رسول الله النَّاجون، فيكون الإجماع المعتبَر هو إجماعهم، ومن العجب أن يزعم زاعمٌ أنَّه لا بدَّ في الإجماع من اتِّفاق الفرق الثلاث والسبعين باختلاف مذاهبها الفقهية والعقدية والسياسية!

ومقتضى ذلك أنَّه لا بدَّ من اتِّفاق من يقول: إنَّ القرآن مخلوقٌ، ومن يقول: إنَّ القرآن غير مخلوق، واتفاق من يُثبِت عذاب القبر ومن يُنكره، واتِّفاق مَن يُثبت معراج رسول الله إلى السماء ومن يُنكره، واتِّفاق مَن لا يدعو إلاَّ الله ولا يستغيث إلاَّ به ومن يدعو أو يستغيث بالملائكة والجنِّ وأصحاب القبور، واتِّفاق مَن يعتقد أن الله يُرى في الدار الآخرة ومن يعتقد أنَّه لا يُرى أبداً!

ورؤية الله في الدار الآخرة اتَّفق عليها الصحابة ومَن تبعهم بإحسان على تتابع القرون، ودلَّت عليها آيات الكتاب العزيز والأحاديث المتواترة، وأنكرها الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة والباطنية، فعلى قول المالكي لا بدَّ في الإجماع من موافقة هذه الفرق، وإلاَّ فإنَّها تبقى مسألة خلافية لا إجماع فيها!

ومن أراد الوقوف على تفصيل القول في مسألة رؤية الله في الدار الآخرة وذِكر الأدلة من الكتاب والسنة يُمكنه ذلك بالرجوع إلى كتب أهل السنة، ومن ذلك كتاب ((حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)) لابن القيم (ص:179 ـ 219).

رابعاً: ما ذكره المالكي من أنَّ هذه التساؤلات التي ذكرها تحتاج إلى بتٍّ فيها ولا يحتمل هذا البحث الإجابة عليها، أقول: لقد بادر بالإجابة كما هو واضح من كلامه الذي يرى فيه أنَّ

الإجماع لا بدَّ فيه من اتَّفاق كلِّ المسلمين على اختلاف مـذاهبهم الفقهية والعقدية والسياسية!

خامساً: قوله: ((وأنا أدعو إخواني للبحـث المنصـف فقـط، أو محاولة ذلك على الأقل، مع التواضع في الاعـتراف بالقصـور فـي العلـم!))، أقـول: مـا أحـوج المـالكي إلـى الإنصـاف والتواضـع ومعرفـة قـدر نفسـه؛ ليَسْـلَم مـن الشـذوذ واتبـاع غيـر سـبيل المؤمنين.

سادساً: ما ذكـره مـن أنَّ الإجمـاع لا بـدَّ فيـه مـن اتِّفـاق أمَّـة الإجابـة بـاختلاف مـذاهبهم الفقهيـة والعقديـة والسياسـية، فيـه احتفاؤه بأهل البدع والأهواء على اختلافها وتعـدُّدها مـع نيلـه مـن أهل السنَّة، ومن كلامه بالإشادة بأهـل البـدع والأهـواء قـوله فـي قراءته (ص:70): ((ولذلك كان أكثر بل كل التيارات التي نَصِمها بالبدعة كالجهمية والقدرية والمعتزلة والشيعة والزيدية وغيرهـم، كل هؤلاء كانوا من الدعاة إلى تحكيم كتاب الله وتحقيق العدالـة، وكانوا من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر!!)).

وقال أيضاً (ص:75):ـ ((لكن المعتزلة مثل غيرهم مِن الفـرق أصـابوا فـي أشـياء وأخطـؤوا فـي أشـياء، لكنهـم فـي الجملـة لا يستغنى عنهم ولا عن تراثهم وعلومهم، وهـم مسـلمون متـديِّنون بدين الإسلام باطناً وظاهراً!!!)).

وقال أيضاً (ص:67): ((وللقدرية نصوص شرعية يستشهدون بها مثلما للسنة والشيعة والمعتزلـة نصـوص شـرعية يـرون فيهـا الدليل الكافي على ما يذهبون إليه!!!)).

ومن ذلك قوله في (ص:69 ـ 70) من قراءته بأنَّ قتـلَ الجعـد بن درهم والجهم بـن صـفوان كـان سياسـياً ولَـم يكـن مـن أجـل البدعة!!

وأيضاً تأسفه (ص:71) من قراءته علـى سـنوات أضـاعها فـي بُغض ولعن الجهمية والقدرية، وأنَّه لَم يتنبَّه لبراءتهما وظلمه لهما

إلاَّ بعد بحثه في الموضوع في فترة متأخرة!

وقال في (ص:83) من قراءته: ((وقد احتوت كتبُ العقائـد ــ ومن أبرزها كتب عقائد الحنابلة ـ على كثير مـن العيـوب الكـبيرة التي لا تزال تفتك بالأمَّة!!!)).

مع هذا ومـع وصـفه أيضـاً فـي قراءتـه (ص:80 ــ 81) للكتـب المؤلفة في العقائد بأنَّها تمـزِّق المسـلمين، وذِكـره أمثلـة كـثيرة للكتب التي عوَّل عليها الحنابلـة فـي العقيـدة وهـي كـثيرة، منهـا كتـاب التوحيـد لابـن خزيمـة والشـريعة للآجـري وأصـول السـنة للالكائي وكتب ابن تيمية وابـن القيـم، مـع ذلـك يقـول فـي (ص: 154) مــن قراءتــه: ((أنــا لا أرى معنــى لمنــع كتــب الأشــاعرة والشيعة والإباضية وغيرهم من المسلمين من دخول المملكة في ضوء هذا التفجُّر المعرفي!!!)).

فقد جمع في ذلـك بيـن التهـوين مـن شـأن كتـب أهـل السـنة والإشادة بكتب غيرهم، فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير!

وكتاباته مبنيَّةٌ على النَّيل من أهـل السـنة، بـدءاً مـن الصـحابة رضي الله عنهم حتى مَن كان في هذا العصر على طريقتهم فـي المملكة وغيرها، ومع ذلك يزعم أنَّه حنبلـيٌّ، وأنَّـه نشـأ فـي هـذه البلاد وتعلَّم فيهـا، فيقـول فـي (ص:149) مـن قراءتـه: ((بـل لا أعتبر نفسي إلاَّ حنبليًّـا؛ بحكـم النشـأة والتعليـم والـبيت والتلقـي والطريقة في الاستدلال)).

أقول: ما زعمه مِن اعتبار نفسه حنبليًّا وأنَّه على طريقتهم في الاستدلال غير صحيح؛ لأنَّ طريقـةَ مَـن زعـم أنَّـه منهـم ــ وليـس منهم ــ هـي طريقـة أهـل السـنة والجماعـة، وأمَّـا هـو فطريقتـه طريقة أهل البدع.

وأما ما ذكـره مـن النَّشـأة والتعلـم، ثـمَّ انحرافـه عمَّـا تعلَّمـه، وعقوقه لِمَن علَّمه، فإنَّه يصدق عليه قول الشاعر:

فوا عجباً مِمَّن ربَّيتُ طفلاً أُلَـقِّمُه بأطراف البنـــان
أعـلِّمُـه الرِّمايةَ كـلَّ يـــوم فلمَّا اشتدَّ ساعِدُه رمانِي
وكم علَّمتُـه نظـمَ القــوافي فلمَّا قال قافيةً هَجَـانِـي

وقال في (ص:122) من قراءته: ((وتتردَّد عنـدنا فـي العقائـد ألفـاظ كـثيرة ومصـطلحات فضفاضـة لا نعـرف معناهـا، أو علـى الأقل يختلف الناس في تحديدها مـن شـخص لآخـر، فنُطلقهـا بلا تحديد، مثل: (السلف الصالح ــ أهـل السـنة ــ أهـل الأثـر ــ أهـل الحديث ـ الطائفة المنصورة ـ البدعة ـ الإجماع ـ الضلالة ـ الأمة ـ علماء الأمَّة ـ الرافضة ـ الجهمية ـ الخوارج ـ النواصب ـ الشيعة ــ الكتاب ـ السنة ... إلخ)، وكـذلك قـول بعضـهم: (عليـك بمـا كـان عليه الصحابة)، نصيحة مطاطة؛ فإن كان يعرف أنَّ الصـحابةَ قـد اختلفــوا فــي أمــور كــثيرة عقديــة وفقهيــة وسياســية، فــأيُّهم نتبع؟!!)).

أقول: إنَّ الـذي أرشـد إلـى اتِّبـاع مـا كـان عليـه الصـحابة هـو في بيان الفرقة الناجية مـن ثلاث وسـبعين بقوله ،ﷺ رسول الله فرقة: ((هم من كان على ما أنا عليه وأصـحابي))، وفـي لفـظ: ((هـي الجماعـة))، وبقـوله فـي حـديث العربـاض بـن سـارية: ((فإنَّه مَن يَعِش منكـم فسـيرى اختلافـاً كـثيراً، فعليكـم بسُـنَّتِي وسُــنَّة الخلفــاء الراشــدين المهــدِيِّين مــن بعــدي)) الحــديث، والصحابةُ رضي الله عنهم لَم يختلفوا في العقيدة.

ومِثْل اختلاف عائشة وابن عباس رضي اللـه عنهمـا فـي رؤيـة ربَّه ليلة المعراج لا يُعدُّ خلافاً في العقيـدة؛ لدلالـة الآيـات النَّبِيِّ الكثيرة والأحاديث المتواترة وإجماع أهل السـنة والجماعـة علـى ثبوت رؤية الله في الدار الآخـرة، وقـد مـرَّت الإشـارة إلـى ذلـك قريباً.

ويَصف المالكيُّ كثيراً من علماء السنَّة بـأنَّهم نواصـب، فيقـول في (ص:134) من قراءته بعد أن أشار إلـى جملـة منهـم: ((ثـمَّ

تتابع علماءُ الشام كابن تيمية وابن كثير وابن القيم على التوجس من فضائل علي وأهل بيته وتضعيف الأحاديث الصحيحة في فضلهم مع المبالغة في مدح غيرهم!!

وعلماء الشام ـ مع فضلهم ــ بشرٌ لا ينجون من تأثير البيئة الشامية التي كانت أقوى من محاولات الإنصاف، خاصَّة مع استئناس هؤلاء بالتراث الحنبلي الذي خلَّفه لهم ابن حامد وابن بطة والبربهاري وعبد الله بن أحمد والخلال وأبو بكر بن أبي داود!!)).

ومثل ذلك قوله في (ص:48):ـ ((ثمَّ جاء بعد هؤلاء آل تيمية بحرَّان ثمَّ دمشق، وابن كثير إلى حدٍّ كبير، والذهبي إلى حدٍّ ما، أما ابن تيمية فاشتهر عنه النَّصب، وكُتُبُه تشهد بذلك، ولذلك حاكَمه علماء عصره على جملة أمور، منها بغضُ علي!!

ولَم يُحاكموا غيرَه من الحنابلة مع أنَّ فيهم نصباً وَرثوه عن ابن بطة وابن حامد والبربهاري.

والتيار الشامي العثماني له أثر بالغ على الحياة العلمية عندنا في الخليج، وهذا من أسرار حساسيتنا من الثناء على الإمام علي أو الحسين، وميلنا الشديد لبَنِي أمية، فتنبَّه!!

والنواصب لهم أقوال عجيبة كغلاة الشيعة، فمنهم مَن كان ينشد الأشعار التي قيلت في هجاء النَّبِيِّ ، ومنهم من يلعن عليًّا ، ومنهم من يتَّهم عليًّا بمحاولة اغتيال النَّبِيِّ وهم الأكثر، ومنهم من يُحرِّف الأحاديث في فضله إلى ذمٍّ، وغير ذلك مِمَّا لا أستحلُّ ذكره، والغريب في أمرنا سكوتنا عن هذه الطائفة التي كان منها من يذم النَّبِيَّ نفسَه!!!)).

وهكذا يُبالِغ المالكي بالجفاء في أهل السنَّة والنَّيل بالباطل منهم ومن كتبهم، مع إشادته بأهل البدع والأهواء، وليس بغريب أن يَسْلَم منه مَن على مَن لَم يسْلَم منه أصحابُ رسول الله جاء بعدهم على طريقتهم، فقد مرَّ في أثناء هذا الرَّدِّ نيلُه من

كثير منهم، لا سيما الطلقاء، وإخراجُه كلّ مَن أسلم وصحب وقد قال الله عزَّ ،ﷻ بعد الحديبية أن يكونوا من أصحابه ﷺ النَّبِيَّ وجلَّ: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

وقد نقلتُ في كتابي: ((فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة)) جملةً من النقول عن بعض مَن وصفهم ومحبَّتهم ﷺ بأنَّهم نواصب تشتمل على توقير أهل بيت النَّبِيِّ وموالاتهم، والنقل عن ابن كثير (ص:37) وعن ابن القيم (ص: 35)، وأمَّا الذهبي فقد قال في تذكرة الحفاظ (1/9) علي بن)) أبي طالب أبو الحسن الهاشمي، قاضي الأئمَّة وفارس الإسلام كان مِمَّن سبق إلى الإسلام ولَم يَتَلَعْثَم، ،ﷺ وخَتَن المصطفى وجاهد في الله حقَّ جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل، وشهد له بالجنَّة، وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، وقال له: ﷺ النَّبِيُّ (أنت منِّي بِمنزلة هارون من موسى، إلاَّ أنَّه لا نبِيَّ بعدي)، وقال: (لايحبُّك إلاَّ مؤمن ولا يُبغضك إلاَّ منافق)، ومناقب هذا الإمام جَمَّة أفردتُها في مجلد، وسَمَّيتُه بـ (فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، وكان إماماً عالِماً متحرِّياً في الأخذ؛ بحيث إنَّه يستحلف مَن يُحدِّثه بالحديث)).

أَفَمِثل هذا الكلام يقوله ناصبيٌّ، كما زعم المالكي؟!

وأمَّا شيخ الإسلام ابن تيمية الذي له نصيبٌ كبير من حقد المالكي وذمِّه، والذي زعم زوراً أنَّه يُبغض عليًّا رضي الله عنه، فله كتاب ((فضل أهل البيت وحقوقهم))، وهو مطبوع، ونقلتُ عن هذا الإمام عدَّةَ نقول في كتابي المشار إليه في (ص:33 ــ 35)، و(ص:44)، ومن ذلك قوله ــ رحمه الله ــ في العقيدة الواسطية: ((أهلَ بيت ويُحبُّون (يعني أهل السُّنَّة والجماعة) ويتوَلَّوْنَهم، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول الله ﷺ رسول الله إلى ((... حيث قال يوم غدير خُمّ: (أُذكِّرُكم الله في أهل بيتِي)

أن قـال: ((ويتـبرَّؤون مـن طريقـة الروافـض الـذين يُبغضـون الصحابةَ ويَسبُّونَهم، وطريقةِ النَّواصب الـذين يُـؤذون أهـلَ الـبيت بقول أو عمل)).

وكـذلك أهـل بيـت)) :وقال في مجمـوع الفتـاوى (28/491) ((تجبُ مَحبَّتُهم وموالاتُهم ورعايةُ حقِّهم رسول الله.

وقال في منهاج السنة (6/18):ـ ((وأمَّا عليٌّ رضي الله عنـه، فأهـل السُّـنَّة يُحبُّـونَه ويتولَّـونه، ويشـهدون بـأنَّه مـن الخلفـاء الراشدين والأئمة المهديِّين)).

والغريب في)) :وقول المالكي في كلامه الأخير عن النواصب أمرنا سكوتنا عن هذه الطائفة الـتي كـان منهـا مـن يـذم النَّبِـيَّ أقـول: تقـدَّمت الإشـارة إلـى مـذهب أهـل السـنَّة ،((!!!نفسَـه وبراءتهم مـن النَّصـب، ونحـن لَـم نسـكت عمَّـن ذمَّ علمـاء أهـل السنَّة على مختلـف العصـور، وذمَّ قبلهـم الكـثيرين مـن أصـحاب الرسول ، فكيف نسكت عمَّن يهجو الرسول أو يذمُّه؟!

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمـه اللـه ــ كتـاب مفيـد اسـمه: ((الصارم المسلول على شاتم الرسول)).

* * *

إنكاره القول بعدالة الصحابة والرد عليه:

وقال في (ص:61 ـ 63):((ـ 4 ـ قد يقول قائل: كيـف تنـاقش مسألة عدالة الصحابة وهي مسألة إجمـاع؟! ثـمَّ مَـن نحـن حـتى نعرف هل الصحابة عدول أم لا؟! ثمَّ ماذا تفعل بتعديل اللـه لهـم في كتابه؟

هل لك اعتراض على ذلك؟

أقـول: أولاً: هـذه أسـئلة مُكـابر وليسـت أسـئلة بـاحث عـن الحقيقة، وللأسف أنَّ هذا النمط من الأسئلة هي المنتشرة اليوم، وهي ممقوتة عند العقلاء الذين يحترمون البحث العلمي، ويمكـن الإجابة على مثـل هـذه الأسـئلة المكـابرة بأسـئلة مثلهـا، فيقـال:

كيف تخصُّون الصحابة بالعدالة مع أنَّ هذا التخصيص لَم يَرد عليه دليل لا من كتاب ولا من سنة؟! وهذه مسألة إجماع؛ فحكم الصحابة هو حكم غيرهم في الشهادة، لقوله تعالى: {وليشهد به ذوا عدل منكم} (كذا)، فلو كان للصحابة خصوصية لكفى شاهد واحد عدل، ولو كان للصحابة خصوصية لاكتفى منهم بشاهد واحد في الزنا والقذف وغيرها، وهذا خلاف الإجماع؛ فإنَّ النصوص القرآنية والحديثية لا تفرق في الشهادة بين صحابي وتابعي، فلماذا تفرقون أنتم في الرواية بين الصحابي وغير الصحابي، فلا تبحثون عن عدالة الصحابي وتبحثون عن عدالة التابعي؟!

بأيِّ دليل من شرع أو عقل يُبيح لكم هذا التفريق؟! إذا كنتم تحتجُّون بأنَّ الله أثنى على الصحابة في كتابه، فهذا الثناء العام ((معارَض بذمٍّ عامٍّ في القرآن أيضاً.

ثمَّ ذكر آيات عديدة فيها الذم العام بزعمه، وذكر بعدها حديثاً واحداً وأشار إليه وإلى كثير من الآيات التي ذكرها، فقال: في أحاديث الحوض ((ومن الأحاديث في الذمِّ العام قول النَّبِيِّ أصحابي!) :في ذهاب أفواج من أصحابه إلى النار، فيقول النَّبِيُّ الحديث متفق عليه، (أصحابي! فيُقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي بعض ألفاظه في البخاري: (فلا أرى ينجو منكم إلاَّ مثل همل النعم).

فيأتي المعارِض للثناء العام بهذا الذَّمِّ العام، ويقول: كيف أنَّه لا ينجو منهم إلاَّ تجعلون للصحابة ميزة وقد أخبر النَّبِيُّ القليل، وأنَّ البقيَّة يؤخذون إلى النار؟!

وكيف أنَّهم استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، وقد تحبط أعمالهم كما حبطت أعمال الأمم الماضية، وأنَّهم يقولون ما لايفعلون، وأنَّ هذا يعقبه مقتٌ كبير عند الله، وأنَّهم يتَّكلون ، وأنَّهم يتثاقلون كلَّما دُعوا إلى الجهاد مع النَّبِيِّ على كثرتهم وتعجبهم، وينسون أنَّ أمر النَّصر والهزيمة بيد الله، وأنَّهم يتنازعون ويعصون الرسول، وبعضهم يريد الدنيا، وأنَّهم

يظنون بالله الظنون، ويُسِرُّون بالمودَّة إلى الكفار، وهذا خلاف ما أُمروا به من الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين، وحَكم على بعضهم بالكذب، وحَكَم على آخرين بأنَّهم يقولون المنكر والزور، وهدَّد بعضَهم بإبطال الأعمال عندما لا يتأدَّبون مع رسول ويرفعون أصواتهم فوق صوته، وإذا كان هذا التهديد نزل الله في حقِّ أبي بكر وعمر فكيف بالباقين؟!

وحَكَم على بعضِهم بأنَّهم لايعقلون، وعلى آخرين بالفسق، من طاعتهم في كثيرمن الأمور، فكيف يكون وحذر الله النَّبِيَّ عدلاً مَن تكون طاعته مضرة وإثماً؟!

وأخبر الله عن إخلاف بعضهم للوعد، فيُعاهد الله ثمَّ لا يفي ويتحوَّل إلى منافق، وأخبر بأنَّ من منهم منافقون (كذا) لا أنَّه لا ينجو من أصحابه يوم كما أخبر النَّبِيُّ ، يعلمهم النَّبِيُّ القيامة إلاَّ القليل (مثل همل النعم)، كما ثبت في صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ.

أقول: يستطيع المحتجُّ على إبطال عدالة الصحابة جملة بمثل هذه الآيات والأحاديث الصحيحة، وحجته لن تكون أضعف من حجَّة القائل بتعديل كلِّ من رأى النَّبِيَّ من المسلمين!!

فما الحلُّ إذاً؟! هل القرآن متناقض؛ فيُثنِي على أناسٍ ثمَّ يجرحهم ويذمُّهم؟ اللهمَّ لا! نعوذ ?الله أن نضرب القرآن الكريم بعضه ببعض، لكن نقول: آيات الثناء تنزل على من يستحقها من المهاجرين والأنصار، وآيات الذَّمِّ بين أمرين: إمَّا عتاب لا ذنب فيه ، إن شاء الله، مثل الأمر بعدم رفع الصوت فوق صوت النَّبِيِّ ، وإمَّا ذمٌّ عام وأريد به الخصوص، يعني أريد به طائفة منهم، وتُعرف هذه الطائفة إمَّا بسبب نزول أو بمعرفة صفتها في آيات أخرى جاء ذكرهم صريحاً، أو على المتأخرين في الإسلام الذين لَم يصدر منهم في عهد النبوة ما يطمئن إلى صحَّة إسلامهم من قوة جهاد وقوة إنفاق!!!)).

أقول: إنَّ مَن وفقَّه الله لاتِّباع السُّنَّة والسلامة من البدعة، عندما يرى أو يسمع مثل هذا الكلام المُظلِم في حقِّ الصحابة رضي الله عنهم يتألَّم قلبُه ويقشعرُّ جِلدُه، ويحمد الله على العافية مِمَّا ابتلي به قائله، ويسأل الله الهدايةَ لهذا المُبتَلَى.

ويُجاب عن كلامه بما يلي:

الأول: ما ذكره عن الأسئلة التي تُورَد على من لا يقول بتعديل الصحابة أنَّها ((أسئلة مُكابر وليست أسئلة باحث عن الحقيقة، وللأسف أنَّ هذا النمط من الأسئلة هي المنتشرة اليوم، وهي ممقوتة عند العقلاء الذين يحترمون البحث العلمي))، أقول: التعويل على البحث العلمي بدون قيود وضوابط هي طريقة المستشرقين الذين لا يلتزمون بدين، وهي طريقة أيضاً مَن أُعجب بهم، وأمَّا البحث العلمي في الإسلام، فيكون في حدود النصوص الشرعية وعلى وفق فهم السلف لها.

الثاني: مسألة عدالة الصحابة اتَّفق عليها السلف، قال ابن عبد البر في التمهيد (22/47): ((ولا فرق بين أن يُسمِّي التابعُ الصاحبَ الذي حدَّثه أو لا يُسميه في وجوب العمل بحديثه؛ لأنَّ الصحابةَ كلَّهم عدولٌ مرضيُّون ثقاتٌ أثباتٌ، وهذا أمر مجتمعٌ عليه عند أهل العلم بالحديث)).

وقال القرطبي في تفسيره (16/299):ـ ((فالصحابة كلُّهم عدولٌ، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخِيرتُه من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنَّة والذي عليه الجماعة من أئمَّة هذه الأمَّة، وقد ذهبت شِرذمةٌ لا مبالاة بهم إلى أنَّ حالَ الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم!!)).

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (1/17):ـ ((واتَّفق أهلُ السنَّة على أنَّ الجميعَ عدولٌ، ولَم يخالف في ذلك إلاَّ شذوذ من المبتدعة)).

وقد أشار السيوطي في تدريب الراوي (ص:400) إلى هؤلاء الشذوذ من المبتدعة، فقال: ((وقالت المعتزلة: عدول إلاَّ من قاتل عليًّا))، وبهذا يتبيَّن سلفُ المالكي!

وقال أبو عمرو بن الصلاح في علوم الحديث (ص:264): ((للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنَّه لا يُسأل عن عدالة أحدٍ منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسنَّة وإجماع مَن يُعتدُّ به في الإجماع من الأمَّة ...)) إلى أن قال: (ص:265)
ثمَّ إنَّ الأمَّةَ مجمعةٌ على تعديلِ جميع الصحابة، ومَن لابس الفتنَ منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتدُّ بهم في الإجماع؛ إحساناً للظَّنِّ بهم، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم)).

وقال النووي في شرحه على مسلم (15/149):ـ ((ولهذا اتَّفق أهلُ الحقِّ ومن يُعتدُّ به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم، رضي الله عنهم أجمعين)).

الثالث: ما جاء من نصوص في أهل بدر وأهل بيعة الرضوان والمهاجرين والأنصار فهي دالَّةٌ على فضل هؤلاء وتعديلهم، وما جاء من نصوص عامَّة في الصحابة فهي تدلُّ على فضل جميع الصحابة وتعديلهم، وماجاء من نصوص في فضل هذه الأمَّة داخلون فيها دخولاً أوَّلياً، هذه طريقةُ أهل فأصحابُ رسول الله السنَّة والجماعة، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع، الذين ابتُلوا بعدم سلامة القلوب والألسنة في حقِّ كثيرٍ من الصحابة رضي الله عنهم.

الرابع: ما ذكره من الاعتراض على أهل السنة من تعديلهم للصحابة على العموم والبحث في عدالة غيرهم، وقوله: إنَّهم لو كانوا كذلك لاكتفى بشاهدٍ واحدٍ منهم في الزنا وغيره.

أقول: هذا الذي ذكره مكابرةٌ كما وصفه هو نفسه بذلك، وأهلُ السنة يقولون: إنَّ التشريعَ عامٌّ للصحابة وغيرهم، لكـن الصـحابةُ لا يحتاجون إلى تعديل المعَـدِّلين، بعـد ثنـاء اللـه عـزَّ وجـلَّ وثنـاء عليهم، بخلاف غيرهـم، وليـس فـي القـرآن آيـةٌ بـاللفظ رسولِه الذي ذكره، وهو قولُه: (وليشهد به ذوا عدل منكم).

الخامس: ما ذكره من إنكار التفريق بين الصحابة وغيرهم فـي الرواية، في قوله: ((لماذا تُفرِّقون أنتم في الرواية بين الصحابيِّ وغير الصحابيِّ فلا تبحثون عن عدالة الصحابيِّ، تبحثون عن عدالة التابعي؟! بأيِّ دليلٍ من شرعٍ أو عقلٍ يبيح لكم هذا التفريق؟!))، يجاب عنه بوجهين:

الأول: أنَّ المعَوَّل على كلامهم في هذا التفريـق بيـن الصـحابة وغيرهـم هـم أهـل السـنة والجماعـة المتَّبعـون لنصـوص الكتـاب والسنَّة، وليس أهل البدع والأهواء، وقال الخطيب البغـدادي فـي الكفاية (ص: 46): ((كلُّ حديثٍ اتَّصل إسنادُه بين من رواه وبين لَم يلزم العمل به إلاَّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظرُ النَّبِيِّ ؛ لأنَّ في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعـه إلـى رسـول اللـه عدالَـةَ الصـحابة ثابتـةٌ معلومـةٌ بتعـديل اللـه لهـم، وإخبـاره عـن ثـمَّ ذكـر الآيـات ((طهـارتهم، واختيـاره لهـم فـي نـص القـرآن والأحاديث في ذلك.

ونقل الخطيب في (ص: 415) عن أبي بكر الأثرم قـال: قلـتُ لأبي
عبد الله يعني أحمد بـن حنبـل: ((إذا قـال رجـلٌ مـن التـابعين فالحديثُ صحيحٌ؟ قال: نعم، حدَّثني رجلٌ من أصحاب النَّبِيِّ !)).

ونقل أيضاً عن الحسين بن إدريس قال: ((وسألتُه يعني محمد بن عبد الله بن عمـار: إذا كـان الحـديثُ عـن رجـلٍ مـن أصـحاب النَّبِيِّ أيكون ذلك حجَّة؟ قال: نعـم! وإن لَـم يسـمِّه؛ فـإنَّ جميـعَ أصحاب النَّبِيِّ كلّهم حجّة)).

الثاني: أنَّ دواوينَ السنَّة صحاحها وجوامعها وسننها ومسانيدها

ومعاجمها وغير ذلك مشتملةٌ على الرواية عن الصحابة على الإبهام، وما ثبت بالإسناد إليهم فهو حجَّةٌ عند أهل السنَّة، ولا تؤثِّر جهالتُهم؛ لأنَّ المجهول منهم في حكم المعلوم.

وما كان في كتب أصحاب الكتب الستة من ذلك أورده المزي في تحفة الأشراف (11/123 ـ 240)، وقال في أوَّله: ((فصل: ومن مسند جماعةٍ من الصحابة روي عنهم فلم يُسمَّوْا، رتَّبنا أحاديثهم على ترتيب أسماء الرواة عنهم))، وفيهم مَن روايتُه في صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكذا ذكر المزّي المبهمات من الصحابيات مرتِّباً أحاديثهنَّ على ترتيب أسماء الرواة عنهنَّ في (13/111 ـ 129).

السادس: ما أورده من آياتٍ فيها ذمٌّ عامٌّ للصحابة بزعمه، منها آياتٌ في المنافقين، كآية {كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّة ...}الآية، كما في تفسير الشوكاني، وكآية {وَمِنْهُم مَنْ عَاهَدَ الله ...} الآية، كما في تفسير ابن كثير.

السابع: قوله (ص:63): ((ومن الأحاديث في الذمِّ العامِّ: قول في أحاديث الحوض في ذهاب أفواجٍ من أصحابه إلى النَّبِيِّ أصحابي! أصحابي! فيقال: لا تدري ما) :النَّار، فيقول النَّبِيُّ الحديث متفق عليه، وفي بعض ألفاظه في ،(أحدثوا بعدك البخاري: (فلا أرى ينجو منكم إلاَّ مثل همل النعم).

فيأتي المعارِض للثناء العام بهذا الذمِّ العامِّ، ويقول: كيف أنَّه لا ينجو منهم إلاَّ تجعلون للصحابة ميزةً وقد أخبر النَّبِيُّ القليلُ، وأنَّ البقيَّةَ يؤخذون إلى النَّار ؟!)).

أنَّه كما أخبر النَّبِيُّ)) :وقال عن هذا الحديث أيضاً (ص:64) لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلاَّ القليلُ (مثل همل النعم)، كما ثبت في صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق)).

ويُجابُ عنه بأنَّ لفظَ الحديث في صحيح البخاري في كتاب

قــال: الرقاق (6587) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ((بينا أنا نائمٌ فإذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خـرج رجـلٌ مـن بينـي وبينهم، فقال: هلمَّ، فقلـتُ: أيـن؟ قـال: إلـى النـار واللـه! قلـت: وماشأنُهم؟ قال: إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثمَّ إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقـال: هلـمَّ، قلتُ: أين؟ قال: إلـى النـار واللـه! قلـت: ماشـأنُهم؟ قـال: إنَّهـم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثـل همل النعم)).

قال الحافظ في شرحه: ((قـوله: (بينـا أنـا نـائمٌ) كـذا بـالنون للأكثر، وللكشميهني (قائم) بالقاف، وهو أوجه، والمراد به قيــامُه على الحوض يوم القيامة، وتوجه الأولى بأنَّه رأى في المنـام فـي الدنيا ما سيقع له في الآخـرة))، وقـال أيضـاً: ((قـوله: (فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم) يعني من هؤلاء الـذين دَنَـوْا مـن الحوض وكادوا يَرِدونه فصُدُّوا عنه))، وقال أيضاً:
والمعنى أنَّه لا يرِدُه منهم إلاَّ القليل؛ لأنَّ الهمل في الإبل قليلٌ)) بالنسبة
لغيره)).

واللفظُ الذي ورد في الحديث: ((فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم)) أي من الزمرتين المذكورتين فـي الحـديث، وهـو لا يدلُّ على أنَّ الذين عُرضوا عليه هاتان الزمرتان فقط، والمــالكي أورد لفظ الحديث على لفظ خاطئ لَـم يـرد فـي الحـديث، وبنـاءً عليه حكم على الصحابة حكماً عامـاًّ خاطئـاً، فقـال فيـه: ((وفـي بعض ألفـاظه فـي البخـاري: (فلا أرى ينجـو منكـم إلاَّ مثـل همـل النعم)، فجاء بلفظ ((منكـم)) علـى الخطـاب بـدل ((منهـم))، وبناءً عليه قال: كيف تجعلون للصحابة ميزة وقد أخـبر النَّبِـيُّ)) ((أنَّه لا ينجـو منهـم إلاَّ القليـل، وأمَّـا البقيـة يُؤخـذون إلـى النـار، وقال: ((أنَّه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلاَّ كما أخبر النَّبِيُّ القليل (مثل همل النعم)، كما ثبت فـي صـحيح البخـاري ـ كتـاب

؛ فإنَّه لَم يُخبر أنَّ أصحابَه وهذا كذب على الرسول ،((!!الرقاق لَم يَنْجُ منهم إلاَّ القليل، ولعل هذا الذي وقع من المالكي حصل خطأً لا عمداً.

وأمَّا ما جاء في بعض الأحاديث مِن أنَّه يُذاد عن حوضه أُناسٌ من أصحابه، وأنَّه يقول ((أصحابي!)) وفي بعض الألفاظ ((أُصيْحابي!))، فيُقال: ((إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك))، فهو وقُتِلوا في ، محمولٌ على القلَّة التي ارتدَّت منهم بعد وفاة النَّبِيِّ ردَّتِهم على أيدي الجيوش المظفرة التي بعثها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وبعضُ أهل الأهواء والبدع يَحملون هذه الأحاديث على ارتداد إلاَّ نفراً يسيراً منهم، وكلام المالكي الصحابة بعد وفاة النَّبِيِّ الذي قال فيه: إنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليل وأنَّ البقيَّةَ يُؤخذون إلى النار شبيهٌ بكلامهم، والحقيقة أنَّ هذه الفرقة الضالَّة الحاقدة على الصحابة وهم الرافضة هي الجديرة بالذَّوْد عن الحوض؛ لعدم وجود سِيمَا التحجيلِ فيها التي جاءت في الحديث في الصحيحين، وهو عند البخاري (136) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ((إنَّ أمَّتِي يُدعَون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين في حديث أبي هريرة: ((ويلٌ من آثار الوضوء))، ولقوله للأعقاب من النار)) أخرجه البخاري (165) ومسلم (242)، ولم أجد في الصحيحين التعبير بذهاب أفواج من أصحاب رسول الله إلى النار، كما زعم المالكي، وقد تقدَّم للمالكي أنَّه أخرج كلَّ أخرجهم ، بعد الحُديبية إلى حين وفاته مَن أسلم وصحب النَّبِيَّ من أن يكونوا صحابة، وأنَّ الصحابةَ عنده وعند قدوته الحكمي هم المهاجرون والأنصار قبل الحديبية فقط، فعلى قوله هنا أنَّه لَم يَنْجُ من الصحابة إلاَّ القليل مثل همل النعم، وأنَّ البقية يؤمر بهم إلى النار، لا ينجو من المهاجرين والأنصار إلاَّ القليل مثل همل النعم!

الثامن: أنَّ قولَ أهل السنَّة والجماعة بعدالة الصحابة لا يعنِي

عصمتهم؛ لأنَّ العصمةَ عندهم لا تكـون إلاَّ للرُّسُـل والأنبيـاء، قـال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص:28): ((وهـم مع ذلك (يعنِي أهل السنة والجماعة) لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحدٍ من الصـحابة معصـومٌ عـن كبـائر الإثـم وصـغائره، بـل يجـوز عليهـم الذنوب فـي الجملـة، ولهـم مـن السَّـوابِق والفضـائل مـا يـوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنَّهم يُغفر لهم من السـيِّئات أنَّهـم خيـر ما لا يُغفر لِمَن بعدهم، وقد ثبـت بقـول رسـول اللـه القرون، وأنَّ المُدَّ من أحدِهم إذا تصدَّق به كان أفضـلَ مـن جبـل أُحُد ذهباً مِمَّن بعدهم، ثمَّ إذا كان قد صـدر عـن أحـدٍ منهـم ذنـبٌ فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسـنات تمحـوه، أو غُفـر لـه بفضـل الذي هـم أحـقُّ النـاس بشـفاعته، أو سابقته، أو بشفاعة محمد ابتلي ببلاء في الـدنيا كفِّـر بـه عنـه، فـإذا كـان هـذا فـي الـذنوب المُحقَّقة فكيف الأمور التي كانوا فيها مُجتهدين، إن أصابوا فلهـم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثمَّ القدر الذي يُنكَر مـن فِعـل بعضِـهم قليـل نـزر مغمـور فـي جنب فضائل القوم ومحاسنِهم من الإيمان ?الله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنُّصرة والعلم النافع والعمل الصـالح، ومـن نظر في سـيرة القـوم بعلـمٍ وبصـيرةٍ ومـا مـنَّ اللـه عليهـم مـن الفضائل علِمَ يقيناً أنَّهم خيرُ الخلق بعد الأنبيـاء، لا كـان ولا يكـون مثلهم، وأنَّهم الصَّفوةُ من قرون هذه الأمَّة الـتي هـي خيـر الأمـم وأكرمها على الله)).

التاسع: إنَّ قولَ أهل السنَّة بتعديل الصـحابة، كمـا أنَّـه مسـتندٌ إلى نصوص من الكتاب والسُّـنَّة، فهـو مَبنِـيٌّ علـى حُسـن الظـنِّ بهم، ومن أحسـن الظـنَّ بهـم فهـو مـأجور، والقـول بخلاف ذلـك مَبنِيٌّ على إساءة الظنِّ بهم، ومَن أساء الظنَّ بهم فهو آثـمٌ، قـال بَكر بن عبد الله المُزني، كمـا فـي ترجمتـه فـي تهـذيب التهـذيب لابن حجر: ((إيَّاك مـن الكلام مـا إن أصـبتَ فيـه لَـم تُـؤجَر، وإن

أخطأت فيه أثمتَ، وهو سوء الظنِّ بأخيك)).

وإذا كان هذا في آحاد الناس، فـإنَّه فـي حـقِّ أصـحاب رسـول الله أشدُّ وأعظم.

وفـي ختـام هـذا الـردِّ علـى المـالكي، أقـول: إنَّ جُـلَّ كلامـه المردود عليه من كتابه فـي الصـحابة، وأمَّـا كتـابُه ((قـراءةٌ فـي كتب العقائد)) المشتمل على تخبُّط وتخليـط فـي العقيـدة، فلـم أنقـل عنـه فـي هـذه الرسـالة للـردِّ عليـه إلاَّ فـي موضـعين فـي تشكيكه في أحقِّيَّة أبي بكـر بالخلافـة، وفـي إشـادته بأهـل البـدع ونيله من علماء أهل السنة وكتبهم على مختلف العصور.

* * *

آثارٌ في توقير الصحابة وبيـان خطـرِ النَّيـل مـن أحـدٍ منهم:

وبعد أن أوردتُ كارهاً مضطراًّ كلمـاتٍ للمـالكي فـي الصـحابة الأخيار مظلمةً مُحزنةً موحشـةً، فـإنِّي أورد كلمـاتٍ فيهـم لبعـض أهل العلم مشرقةً مضيئةً، سارَّةً مؤنسةً، وجلُّها مثبتٌ في كتـابي ((من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رضـي اللـه عنه)).

الإمام مالك بن أنس (179هـ) رحمه الله:

قال مالك: مَن)) :قال البغوي في شرح السنة (1/229) وكان في قلبه عليه غِلٌّ يبغض أحداً من أصحاب رسول الله فليس له حقٌّ في فَيءِ المسلمين، ثم قرأ قولَه سبحانه وتعالى: {مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى} إلى قوله: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ} الآية، وذُكر بين يديه رجلٌ ينتقص أصحابَ رسول الله فقرأ مالكٌ هذه الآية {مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} إلى قوله: {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}، ثم قال: مَن أصبح من فقد أصابته الناس في قلبه غِلٌّ على أحدٍ من أصحاب النَّبِيِّ هذه الآية)).

الإمام أحمد بن حنبل (241هـ) رحمه الله:

قال في كتابه السنة: ((ومن السنَّة ذكرُ محاسن أصحاب رسول الله
كلِّهم أجمعين، والكفّ عن الذي جرى بينهم، فمَن سبَّ أصحابَ أو وأحداً منهم فهو مبتدعٌ رافضيٌّ، حبُّهم سنَّةٌ رسول الله والدعاءُ لهم قربةٌ والاقتداءُ بهم وسيلةٌ والأخذُ بآثارهم فضيلةٌ)).

وقال: ((لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحدٍ منهم فمَن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبُه وعقوبتُه ليس له أن يعفوَ عنه بل يعاقبُه ثمَّ يستتيبُه فإن تاب قبِلَ منه وإن لَم يتب أعاد عليه العقوبة وخلَّده في الحبس حتى يتوب ويراجع)).

الإمام أبوزرعة الرازي (264هـ) رحمه الله:

روى الخطيبُ البغدادي في كتابه الكفاية (ص:49) بإسناده إذا رأيت الرجلَ ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله)) :إليه قال عندنا حقٌّ والقرآن فاعلم أنَّه زنديقٌ؛ وذلك أنَّ رسول الله حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله وإنَّما يريدون أن يجرحوا شهودَنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ

بهم أولى وهم زنادقةٌ)).

الإمام أبوجعفر الطحاوي (322هـ) رحمه الله:

ونحبُّ أصحابَ رسول)) :قال في عقيدة أهل السنة والجماعة ولا نفرط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحدٍ منهم، الله ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلاَّ بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ)).

الإمام ابن الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (327هـ) رحمه الله:

فأمَّا أصحابُ رسول)) :قال في كتابه الجرح والتعديل (1/87) فهم الذين شهدوا الوحيَ والتنزيلَ، وعرفوا التفسيرَ الله ونصرتِه والتأويلَ، وهم الذين اختارهم الله عزَّ وجلَّ لصحبة نبيِّه وإقامةِ دينه وإظهارِ حقِّه، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلاماً ما بلَّغهم عن الله عزَّ وجلَّ، وما سنَّ وقدوةً، فحفظوا عنه وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدّب، ووعَوْه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمرَ الله ونهيه ومراده بمعاينة ومشاهدتهم منه تفسيرَ الكتاب وتأويله، وتلقّفهم رسول الله منه واستنباطهم عنه، فشرَّفهم الله عزَّ وجلَّ بما مَنَّ عليهم إلى أن قال: ،((وأكرمهم به من وضعه إيَّاهم موضع القدوة ((فكانوا عدولَ الأمَّة وأئمَّةَ الهدى وحجَجَ الدِّين ونقلةَ الكتاب والسنة.

وندب الله عزَّ وجلَّ إلى التمسُّك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} الآية.

قد حضَّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة، ووجدنا النَّبِيَّ ووجدناه يخاطبُ أصحابَه فيها، منها أن دعا لهم فقال: (نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتّى يبلِّغها غيرَه)، وقال

في خطبته: (فليبلِّغ الشّاهدُ منكم الغائبَ)، وقال: (بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).

ثمَّ تفرَّقت الصحابةُ رضي الله عنهم في النَّواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبثَّ كلُّ واحدٍ منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحكموا بحكم الله عزَّ وجلَّ وأمضوا ، وحفظه عن رسول الله وأفتوا فيما سُئلوا عنه مِمَّا ، الأمور على ما سنَّ رسول الله عن نظائرها من المسائل، حضرهم من جواب رسول الله وجرّدوا أنفسهم مع تقدمة حسن النيّة والقربة إلى الله تقدّس اسمُه، لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام، حتّى قبضهم الله عزَّ وجلَّ رضوانُ الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين)).

الإمام ابن ابن أبي زيد القيرواني (386هـ) رحمه الله:

وأنَّ خيرَ القرون القرنُ الذين رأوا))قال في مقدَّمة رسالته: وآمنوا به، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، رسولَ الله وأفضل الصحابة الخلفاءُ الراشدون المهديّون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان،ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يُذكر أحدٌ من إلاَّ بأحسن ذكرٍ، والإمساك عمَّا شجر بينهم، صحابة الرسول وأنَّهم أحقُّ الناس أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، ويُظنَّ بهم أحسنَ المذاهب)).

الإمام أبوعثمان الصابوني (449هـ) رحمه الله:

ويَرون)) :قال في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث وتطهير الألسنة عن الكفَّ عمَّا شجر بين أصحاب رسول الله ذكر ما يتضمَّن عيباً لهم أو نقصاً فيهم ويرون التَّرحُّم على جميعهم والموالاة لكافَّتهم)).

الإمام أبو المظفَّر السمعاني (489هـ) رحمه الله:

نقل الحافظ في الفتح (4/365) عنه أنَّه قال: ((التعرُّضُ إلى

جانب الصحابة علامةٌ على خذلان فاعله، بل هو بدعةٌ وضلالةٌ)).

شيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ) رحمه الله:

ومن أصول أهل السنة)) :قال في كتابه العقيدة الواسطية كما والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله وصفهم الله في قوله: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ في قوله: (لا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}، وطاعة للنبيِّ تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدَكم أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه) إلى أن قال: ويتبرَّءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبّونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهلَ البيت بقول أوعملٍ، ويُمسكون عمَّا جرى بين الصحابة، ويقولون إنَّ هذه الآثار المرويّة في مساوئهم منها ما هو كذبٌ ومنها ما قد زِيد فيه ونُقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيحُ منه هم فيه معذورون إمَّا مجتهدون مصيبون وإمَّا مجتهدون مخطئون)).

وقد مرَّ ذِكرُ بقيَّة كلامه في عدالة الصحابة قريباً.

الحافظ ابن كثير (774هـ) رحمه الله:

قال في تفسيرِ قول الله عزَّ وجلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ فقد أخبر الله العظيم أنَّه قد رضي)) :وَرَضُوا عَنْهُ} الآية قال عن السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان، فيا ويلَ مَن أبغضَهم أو سبَّهم أو أبغضَ أو سبَّ بعضَهم وخيرُهم وأفضلُهم أعني ولا سِيَما سيِّدُ الصحابة بعد الرَّسول الصِّديقَ الأكبرَ والخليفةَ الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإنَّ الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضلَ الصحابة، ويبغضونهم ويسبُّونهم عياذاً بالله من ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّ عقولَهم معكوسةٌ وقلوبَهم منكوسةٌ، فأين هؤلاء من الإيمان

بالقرآن إذ يسبون مَن رضي الله عنهم، وأمَّا أهلُ السنة فإنَّهم يترَضَّوْن عمَّن رضي الله عنه ويسبون من سبَّه الله ورسولُه ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله، وهم متَّبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعبادُه المؤمنون)).

الشيخ ابن أبي العزّ الحنفي (792هـ) رحمه الله:

قال في شرح الطحاوية (ص:469): ((فمن أضلُّ مِمَّن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيِّين، بل قد فضَلهم اليهودُ والنصارى بخصلة، قيل لليهود مَن خيرُ أهل ملَّتكم؟ قالوا: أصحابُ موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحابُ عيسى، وقيل للرافضة:من شرُّ أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحابُ محمد، ولم يستثنوا منهم إلاَّ القليل، وفيمن سبّوهم من هو خير مِمَّن استثنوهم بأضعافٍ مضاعفةٍ)).

وهذا المعنى جاء في شعر أحد علمائهم بين القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، وهو كاظم الأزري، فقال:

أهم خير أمة أخرجت للنا س هيهات ذاك بل أشقاها !!!

وقفتُ عليه في نقد الأستاذ محمود الملاح لقصيدته الأزرية المطبوع بعنوان: ((الرزيّة في القصيدة الأزرية)) (ص:51).

وما جاء في هذا البيت غايةٌ في الجفاء والخبث، ومثله في الغلوِّ في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه والجفاء في الصحابة قوله (ص:45):

أَنَبِيٌّ بلا وَصِيٍّ؟!! تعالى الله عمَّا يقوله سفهاها!!!

ومن غلوِّه في علي رضي الله عنه قوله كما في (ص:34):

وهو الآيةُ المحيطة في الكو ن ففي عين كل شيء تراها!!!

وقوله كما في (ص:36):

ورأت قسوراً لو اعترضته الـ إنسُ والجنُّ في وغى أفناها!!!

والبيتـان الأخيـران يصـدق عليهمـا الوصـف المشـهور: يُضـحك النمل في قراها، والنحل في خلاياها!

الحافظ ابن حجر العسقلاني (852هـ) رحمه الله:

قال في كتابه فتح الباري (13/34): ((واتّفق أهلُ السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهـم مـن حروبٍ ولو عُرف المحقُّ منهم؛ لأنَّهم لَم يقاتلوا في تلك الحـروب إلاَّ عن اجتهادٍ وقد عفا الله تعالى عن المخطئ فـي الاجتهـاد بـل ثبت أنَّه يؤجر أجراً واحداً وأنَّ المصيبَ يؤجر أجرين)).

الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري (893هـ) رحمه الله:

قـال فـي كتـابه الريـاض المسـتطابة فـي مـن لـه روايـةٌ فـي الصحيحين من الصحابة (ص:311): ((وينبغي لكلِّ صيِّنٍ متـديِّنٍ مسامحة الصحابة فيما صـدر بينهـم مـن التشـاجر والاعتـذار عـن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهـم وتسـلِيم صـحة إجمـاع مـا أجمعوا عليه على ما علموه، فهم أعلم بالحال، والحاضرُ يرى مــا لا يرى الغائبُ، وطريقةُ العارفين الاعتذارُ عن المعـائب، وطريقـةُ المنافقين تتبُّعُ المثالب، وإذا كان اللاَّزمُ مـن طريقـة الـدين سـترُ عورات المسلمين فكيف الظنُّ بصحابة خـاتم النـبيّين مـع اعتبـار قوله : (لا تسبُّوا أحداً من أصحابي)، وقوله: (من حُسْــن إســلام المرء تركُه ما لا يعنيه) هذه طريقـةُ صـلحاء السـلف ومـا سـواها مهاوٍ وتلف)).

* * *

آياتٌ وأحاديث في حفـظ اللسـان مـن الكلام إلاَّ فـي خير:

وقـد رأيـتُ مـن المناسـب أن أورد هنـا آيـاتٍ مـن كتـاب اللـه فـي أهميّـة حفـظ اللسـان مـن وأحاديثَ من سُنَّة رسـول اللـه الكلام إلاَّ في الخير؛ وذلك نصيحة لنفسـي وللمـالكي ولِمَـن شـاء الله أن يطَّلع على هذه الرسالة، وأسأل الله للجميع التوفيقَ لِمَــا

تُحمد عاقبتُه في الدنيا والآخرة.

قال الله عزَّ وجلَّ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ} وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}، وفي قال: صحيح مسلم (2589) عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ((أتدرون ما الغيبةُ؟ قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: ذكرُك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لَم يكن فيه فقد بهتَّه)).

وقال الله عزَّ وجلَّ: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً}.

روى البخاري في صحيحه (10) عن عبد الله بن عمرو عن النَّبِيِّ قال: ((المسلمُ مَن سلم المسلمون من لسانه ويده))، ورواه مسلم في صحيحه (64) أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله أيُّ المسلمين خيرٌ؟ قال:
((مَن سلم المسلمون من لسانه ويده)).

وروى مسلمٌ أيضاً من حديث جابر (65) بلفظ حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري.

أقول: ولا شكَّ أنَّ أولى المسلمين بالسلامة من اللسان ومن قال الحافظ في شرح الكتابة باليد أصحابُ رسول الله الحديث: ((والحديث عامٌّ بالنسبة إلى اللسان دون اليد؛ لأنَّ اللسانَ يمكنه القول في الماضين والموجودين والحادثين بعد، بخلاف اليد، نعم! يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة، وإنَّ أثرها في ذلك لعظيم)).

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

كتبتُ وقد أيقنتُ يوم كتابـتِي بأنَّ يـدي تفنَى ويبقى كتابُها

فـإن عملَـت خيـراً سـتُجزى بمثلـه وإن عملـت شـرًّا علـيَّ حسابُها

وروى البخاري في صحيحه (6474) عن سهل بن سـعد رضـي الله عنه عن رسول الله قال: ((مَن يضمن لـي مـا بيـن لحْيَيْـه وما بيـن رجليـه أضـمن لـه الجنَّـة))، المـراد بِمـا بيـن اللّحْيَيْـن والرِّجْلَين اللسانُ والفرْجُ.

وروى البخاري في صحيحه (6475) ومسلم في صحيحه (74) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول اللـه : ((كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)) الحديث.

قال الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في كتـابه روضـةُ العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:45):ـ ((الواجبُ علىالعاقل أن يلزم الصـمتَ إلى أن يلزمه التكلّمُ، فما أكثرَ مَن ندم إذا نطق، وأقلَّ مـن ينـدم إذا سكت، وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً مـن ابتُلـي بلسـانٍ مطلقٍ، وفؤادٍ مطبقٍ)).

وقال أيضاً (ص:47):ـ ((الواجبُ على العاقل أن يُنصف أذنيـه من فيه، ويعلم أنَّه إنَّما جُعلت له أذنـان وفـم واحـدٌ ليسـمع أكـثر مِمَّا يقول؛ لأنَّه إذا قال ربَّما ندم، وإن لَم يقل لَم يندم، وهو علـى ردِّ ما لَم يقل أقدر منـه علـى ردِّ مـا قـال، والكلمـةُ إذا تكلَّـم بهـا ملكَتْه، وإن لَم يتكلَّم بها ملكها)).

وقال أيضاً في (ص:49):ـ ((لسـانُ العاقـل يكـون وراء قلبـه، فـإذا أراد القـولَ رجـع إلـى القلـب، فـإن كـان لـه قـال، وإلاَّ فلا، والجاهلُ قلبُه في طرف لسانه، ما أتى على لسانه تكلَّم به، ومـا عقل دينَه من لَم يحفظ لسانه)).

وروى البخـاري فـي صـحيحه (6477) ومسـلم فـي صـحيحه (2988)، واللفظُ لمسلم عن أبـي هريـرة أنَّ رسـول اللـه قـال:

((إنَّ العبدَ ليتكلَّم بالكلمة ما يتبيَّن ما فيها، يهـوي بهـا فـي النـار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب)).

لمعاذ أخرجه الترمـذي (2616) وفي آخر حديث وصيّة النَّبِيِّ وهل يَكُبُّ الناسَ في)) : وقال: ((حديثٌ حسنٌ صحيحٌ))، قال قـاله ،((النار على وجوههم أو على مناخِرهم إلاَّ حصائدُ ألسـنتهم جواباً لقول معاذ رضي الله عنه: ((يا نـبيَّ اللـه! وإنَّـا لمؤاخـذون بِمَا نتكلَّم به؟)).

قال الحافظ ابـن رجـب فـي شـرحه مـن كتـابه جـامع العلـوم والحكـم (1/147):ـ ((والمـرادُ بحصـائد الألسـنة: جـزاءُ الكلام المحرَّم وعقوبـاته؛ فـإنَّ الإنسـانَ يـزرع بقـوله وعملـه الحسـنات والسيِّئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمَن زرع خيراً مِن قولٍ أو عملٍ حَصَد الكرامة، ومن رزع شراً من قولٍ أو عملٍ حصد غداً الندامة)).

وروى مسلم في صحيحه (2581) عن أبـي هريـرة أنَّ رسـول قال: ((أتدرون مَن المُفلِس؟ قـالوا: المُفلِـسُ فينـا مَـن لا الله دِرهم له ولا متاع، فقال: إنَّ المفلسَ من أمتي يأتي يـوم القيامـة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هـذا، وأكـل مـالَ هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسـناته، وهـذا من حسناته، فإن فنيَتْ حسناتُه قَبْل أن يُقضى ما عليـه أُخـذ مـن خطاياهم فطُرحت عليه، ثمَّ طُرح في النار)).

وروى مسلم في صحيحه (2564) عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنه حديثاً طويلاً جاء في آخـره: ((بحسـب امـرئٍ مـن الشـرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ، دمُـه ومـالُه وعرضُه)).

وروى البخـاري فـي صـحيحه (1739) ومسـلم فـي صـحيحه أنَّ رسـول)) واللفظُ للبخاري عن ابن عباس رضي اللـه عنهمـا خطب الناسَ يوم النحر، فقال: يا أيُّها الناس! أيُّ يومٍ هذا؟ الله قالوا: يومٌ حرامٌ، قال: أيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: بلـدٌ حـرامٌ، قـال: فـأيُّ

شهرٍ هذا؟ قالوا: شهرٌ حرامٌ، قال: فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحرمة يومِكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، فأعادها مراراً، ثم رفع رأسَه فقال: اللهمَّ هل بلَّغتُ؟ اللهمَّ هل بلَّغتُ؟ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: فوالَّذي نفسي بيده! إنَّها لوصيَّتُه إلى أمَّته، فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض.

وروى مسلم في صحيحه (2674) عن أبي هريرة رضي الله قال: ((مَن دعا إلى هُدى كان له مِن الأجر عنه أنَّ رسول الله مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)).

قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (1/65) تعليقاً على حديث ((إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلاَّ من إحدى ثلاث ...)) الحديث، قال: ((وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو نَسَخَه أو عمل به من بعده ما بقي خطُّه والعملُ به؛ لهذا الحديث وأمثاله، وناسخ غير النافع مِمَّا يوجب الإثمَ، عليه وزره ووزر مَن قَرَأَه أو نَسَخَه أو عمل به من بعده ما بقي خطُّه والعملُ به؛ لِمَا تقدم من الأحاديث (مَن سنَّ سُنَّةً حسنة أو سيِّئة)، والله أعلم)).

وروى البخاري في صحيحه (6502) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((إنَّ الله قال: مَن عادَى لِي وَلِياً فقدآذنتُه بالحرب)) الحديث.

وإذا كان هذا في وَلِيٍّ واحدٍ من آحاد الأولياء، فكيف بالكثيرين الذين هم ساداتُ الأولياء رضي الله من أصحاب رسول الله عنهم وأرضاهم.

* * *

وإلى هنا انتهت هذه الرسالة التي هي من أحبِّ كُتُبِي إلى

نفسي، وأرجاها لي عند ربِّي؛ لِمَا تضَمَّنتْه من الدِّفاع عن الصحابة الأخيار والذَّبِّ عنهم، والحمد لله الـذي مَـنَّ علـيَّ بِحُبِّهـم، وبغـض مَن يُبغضهم، وبغير الخير يَذكرُهم، ورضي الله عن أنس بن مالك الـذي أظهـر فـرحَ الصـحابة الشـديد لحـديث خادم رسول اللـه ((المرء مع من أحبَّ)) فقال بعد روايته للحديث كما في صـحيح البخاري (3688) :((فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النَّبِيِّ)) أنت : وأبا بكر وعُمر، وأرجو مع من أحببتَ، قال أنس: فأنا أُحبُّ النَّبِيَّ ،((أن أكون معهـم بِحُبِّـي إيَّـاهم، وإن لَـم أعمـل بمثـل أعمـالِهم والحديث متواترٌ، ذكر ذلك الحافظ ابن كثير فـي تفسـيره سـورة الشورى، عند قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}.

وأبـا بكـر وعمـر وعثمـان وعليًّـا أقول: وأنا أُحبُّ رسولَ اللـه والحَسَن والحُسين وأمَّهما فاطمة وأمَّهـات المـؤمنين وأنـس بـنَ مالك قائل هذا الكلام وسائرَ الصحابة رضي الله عنهم، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إيَّاهم، وإن لَم أعمل بمثل أعمالِهم.

اللهـمَّ إنَّـك تعلـمُ مـا فـي قلبِـي مـن الحـبِّ للصـحابةِ الأخيـار والقرابة الأطهار، وتعلم سلامةَ لساني وقلـبي مِمَّـا لا يليـق بهـم، ورضـي اللـه عنهـم وتعلـم أنَّ مـا كتبتُـه انتصـارٌ لصـحابةِ نبيِّـك وأرضاهم، اللهمَّ إنِّي أسـألك بهـذا الحـبِّ والسـلامة والانتصـار أن تُثبِّتَنِي بالقول الثابت في الحياة الـدنيا وفـي الآخـرة، وأن تُحسِـنَ عاقبَتِي في الأمور كلِّها، وتُجيرَنِي من خِزي الدنيا وعذاب الآخـرة، وأن تـدخلَنِي الجنَّـة، وتُعيـذَنِي مـن النـار، ربِّ أوزِعنِـي أن أشـكر نعمتَك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والِديَّ وأن أعمـل صـالِحاً ترضـاه، وأدخلنِي برحمتِك في عبـادك الصَّـالحين، ربِّ أوزِعنِـي أن أشـكر نعمتَك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والدَيَّ وأن أعمـل صـالِحاً ترضـاه، وأَصلِح لي في ذُريَّتِي إنِّي تُبتُ إليك وإنِّي مـن المسـلمين، اللهـمَّ اغفر لي ولآبائي وأمَّهاتِي وأهلِي وأبنائي وبناتِي وإخوانِي وأخواتِي وأعمامي وعمَّـاتي وأخـوالِي وخـالاتي وأصـهاري وسـائر أقربـائي وشــيوخي وأصــدقائي وزملائــي وتلاميــذي وســائر المســلمين

والمسلمات الأحياء منهم والأموات، إنَّك سميعٌ مجيـبُ الـدَّعوات، ربَّنا آتنا من لدنك رحمةً وهيِّء لنـا مـن أمرنـا رشـداً، ربَّنـا لا تُـزِغ قلوبَنا بعد إذ هديتَنا وهَب لنا من لدنك رحمـة إنَّـك أنـت الوهَّـاب، ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنـا غِلاًّ للذين آمنوا ربَّنا إنَّك رؤوف رحيم، سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

وكان الفراغ من تأليف هذه الرسالة صباح يوم الجمعة 27 شوال 1422هـ.